

شـــرح

كشف الشبهات

لشيخ الإسلام / محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ العلاّمة

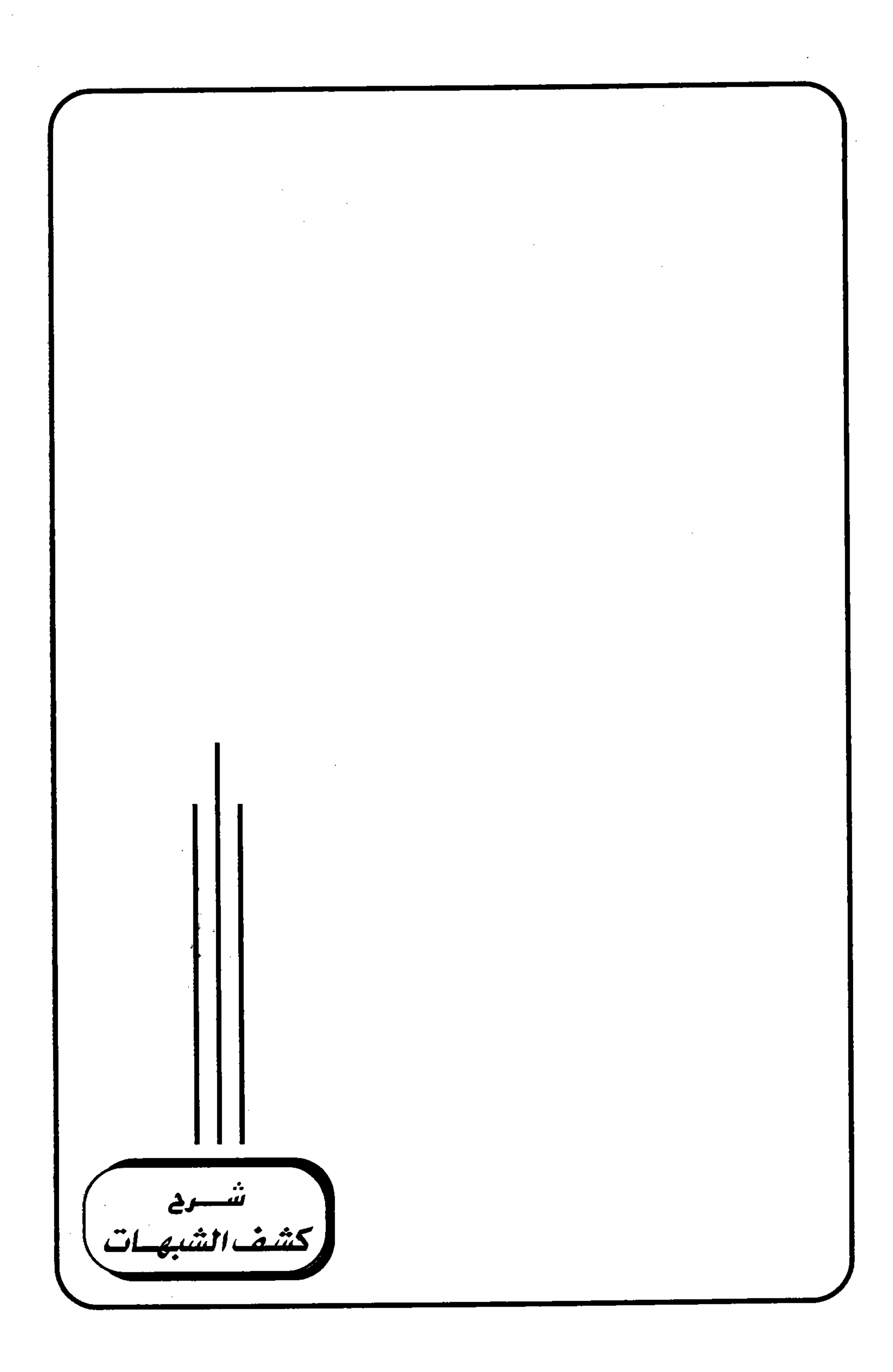
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى





بسم الله الرحمن الرحيم


شـــرح
كشف الشبهـات

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

مكتبة
الهدي المحمدي

٨١ ش الهدي المحمدي متفرع من ش أحمد عرابي - مساكن عين شمس - ج.م.ع
✆ ٠١٠٣٦٢٥٣٤٣ - ٠١٠٣٦٦٤١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم رحمك الله أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأوَّلهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لَما غلوا في الصالحين: ودًا، وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا.

وآخر الرُّسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون، ويحجُّون، ويتصدَّقون، ويذكرون الله كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى ابن مريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لِمَلَك مقرَّب، ولا لنبي مُرسَلٍ فضلاً عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يُدبِّر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن؛ كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فـإذا أردتَ الدليل على أن هـؤلاء الذين قـاتلهم رسـول الله ﷺ يشهدون بهذا فـاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩]، وغير ذلك من الآيات [1].

١- قال الشيخ ابن باز رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلِّ وسلم على رسول الله ﷺ.

يقول المؤلف رحمه الله في كتابه المسمَّى (كشف الشبهات): عُبَّـاد القبـور لهم شبـهات كثيـرة يوردونها على الدُّعاة إلى الله، ويلبِّسون به على بعض الناس في دعوتهم للأموات واستغاثتهم بالملائكة والأنبياء وغير ذلك.

يقـولون لهم: هؤلاء لهم جاه عند الله، ولهم شفـاعة عند الله، وهم مقرَّبون عند الله، ونحن نطلب منهم الشفاعة نطلب القُربى، نعْرف منهم أنهم لا يتصرَّفون بأنفسهم وأنهم لا يخلقـون ولا يرزقون ولكن نريد شفاعتـهم وتقريبهم لنا إلى الله زلفى، وأنهم ينفعون بشفاعتهم، يشبِّهون على الناس.

فالمؤلف رحمه الله كتب هذه الرسالة (**كشف الشبهات**) لإيضاح هذه الشبهات وإبطالهـا وبيان أن هذه الشـبهـات لا تلتبـس على أهل العلم والإيمان، بل أوضح القرآن إبطالها، وأوضح الرسول إبطالها.

. . . .

فيقول رحمه الله:

إعلم أيها القارئ أيها المسلم أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، هو دين الله جل وعلا ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، هو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده من أولهم نوح إلى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

هذا دين الرُّسُل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

كان عليه نوح وآدم قبله وذريته، هكذا الرسل بعده هم على هذا.

فلما حدث الشرك في قوم نوح وأشركوا بودٍ وسواعٍ ويغوث ويعوق ونسرًا، أرسل الله إليهم نوحًا -عليه الصلاة والسلام- ينهاهم عن عبادة هذه الصور، الأصنام هم صوَّروهم ليتأسُّوا بهم، كانوا رجالاً صالحين، فلما هلكوا في قوم نوح جاءهم الشيطان وقال: هؤلاء صفتهم كذا وصفتهم كذا وهم صالحون وأخيار، صَوِّروا صورهم واجعلوها في مجالسكم حتى تذكروا عبادتهم حتى تقتدون بهم، حتى يصيدهم بعد ذلك بالشرك أو مَن بعدهم، فصوَّروها ونصبوها في مجالسهم حتى طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون الله، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لَما بعثه الله أنكر على المشركين عبادة الصالحين، وأخبرهم بما جرى لقوم نوح، وأنزل الله عليه كذلك سورة نوح، وهو الذي كسَّر صور هؤلاء الصالحين، كانت

. . . .

موجودة في العرب فأمر بتكسيرها لَما فتح الله عليه مكة -عليه الصلاة والسلام-: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسراً.

وكان المشركون يتعبَّدون عند هذه الأصنام وأشباهها يرجون بركتها وشفاعتها عند الله ونفعها، ويقولون: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]. ما يعتقدون أنها تخلق وترزق كما يظنها المشركون الذين في زماننا، يظنون أن أولئك يعتقدون أنها تخلق وترزق.

لا، هم يظنون فيها ويعتقدون فيها أنها مخلوقة مربوبة لا تخلق ولا ترزق ولكن يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾، ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾.

ومع هذا كفَّرهم الله، وأرسل إليهم رسوله، وقاتلهم الرسول على هذا الشرك.

وهذا يبيِّن للقارئ حقيقة الشرك، وأنه هو التشفع بالصالحين وطلبهم قربى إلى الله، والذبح لهم، والنذر لهم، والسجود لهم، بقصد القربى والشفاعة.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

ما قالوا أنها تخلق وترزق، والله بيَّن هذا في كتابه العظيم، قال لنبيه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

. . . .

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] .

والآيات كثيرة كلها تدل على أنهم مقرُّون بأن الله خالق ورازق، خالق السموات، وخالق كل شيء، ولكنهم كفروا بطلبهم الشفاعة والقربى من الأنبياء والصالحين، والذبح لهم، والنذر لهم، ونحو ذلك.

كفروا بهذا، وإلا هم يعلمون أن جميع المخلوقات الله خلقها، والله رازقها سبحانه وتعالى، هم مقرُّون بهذا، ليس عندهم من شك، ولكنهم توسطوا بهم في طلب الشفاعة، في طلب المغفرة، في غير هذا من مطلوبهم، إنما تقربنا إليهم، نرجوا شفاعتهم وتقريبهم لنا.

فبيَّن الله بطلان هذا، وأن هذا شرك وكفر وضلال، وأن تعبدهم وذبحهم لهم ونذرهم لهم ودعاؤهم إياهم، كل هذا من الشرك الأكبر، ولو اعتقدوا أنهم مخلوقون مرزوقون، ما دام قَصَروا هذه العبادة لهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم، هذا هو الشرك الأكبر.

فلعل هؤلاء المتأخرين إذا بُصِّروا يتبصَّرون، وإذا ذُكِّروا يتذكَّرون بما عليه أهل الشرك، وأن هذا الذي عليه هم هو دين المشركين الأولين، هؤلاء زادوا على الأولين أيضًا لأن شركهم دائم في الرخاء والشدة، والأولون في حال الرخاء خاصة، أما في حال الشدائد فأخلصوا لله الدين . كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] .

. . . .

أما هؤلاء المشركون عُبَّاد البدوي، وعُبَّـاد الحسين، وعُبَّاد الجيلاني، وغيرهم، هؤلاء شركهم دائم في الرخاء والشدة -نعوذ بالله-.

فهو أشد شركًا من الأولين وأعظم شركًا وأقبح.

وبعضهم يشرك في الربوبية، بعضـهم يجعل معبودات تشارك الله في تصريف الكون شرك آخر، شرك الربوبية -نعوذ بالله- .

المقصود أن شرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين وأقبح من جهتين:

-من جهة أن شركهم دائم في الرخاء والشدة، والأولون بخلاف ذلك.

-ومن جهـة أن كثيـراً منهم شركوا آلهـتهم حتى في تدبيـر الأمور، في خلق الـخَلق في رزق العَالَم، وهذا أقبح من شـرك الأولين وأخطر وأشد ضلالاً وبلاءً، نعوذ بالله من شرهم، ونسأل الله العافية، وفَّقَ الله الجميع.

❐ ●● ❐

الأسئلة

س: أحسن الله إليكم بعض الذين يشجعون الكرة يقول: إذا فاز الفريق الفلاني ذبيحتكم عليّ، فهل يجوز هذا؟

ج: ما يصلح هذا، لا بالدراهم ولا بالذبائح، ما يجوز هذا، هذا من الـجُعُل المجهول -القمار-، فلا يجوز أن يأكلوا من الذبيحة التي ذبحت لهم، لأن هذا من القمار.

قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠].

. . . .

الميسر هو القمار، ليس شيء على مال غير السَّبْق في النَّصْل والـخُف والحافِر

س: بعض الناس يطلق على بعض المعاصي أنها توقع في الشرك يحبون هذه الأفعال أكثر من حبهم لله؟

ج: حُب العبادة، أما حُب الزوجة أو حُب المال أكثر من حُب الله هذه معصية من المعاصي، لكن الـحُب الذي يقتضي عدم وجود محبة لله هذا كفر أكبر، نسأل الله العافية، فـأصل الـحُب لا بد منه، لكن حُب الله يكون أكمل من كل شيء ، وحُب الرسول ﷺ أكمل من كل شيء، هذا من كمال الإيمان الواجب، فالمؤمن عليه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، هذا كمال التوحيد.

س: مِن فرط حبه لشيخه يقدِّم كلامه على كلام الله عز وجل؟

ج: هذا معصيـة، تقليد أعمى، وإذا استحلَّ ذلك ورأى أن كلام شيـخه مقدَّم على كلام الله هذا كفر أكبر، إذا استحل ذلك، نسأل الله العافية.

س: الصالحون ود وسواع ويغوث وغيرهم كانوا في زمن نوح أم قبله؟

ج: كانوا في زمن نوح.

س: لِما كانوا أحياء؟

ج: هم كانوا في زمن نوح، ووجودهم قبل نوح، لكنها موجودة في زمانه ثم بقيت في الناس.

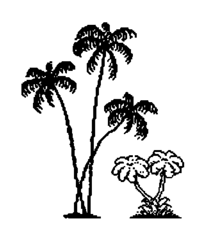
س: هل هناك حديث أنها ستعود تُعبد بأعيانها ؟

ج: يكفي حديث في الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى لا يُقال على الأرض الله الله حتى يعم الشرك» .

. . . .

هي يعني ود وسواع وغيرها إن وُجِـدَت يعني تطبق البلاد على الشرك -نسأل الله العافيـة- بعدما ينزع الإيمان من قلوب الناس فإن الله يرسل رِيحًا طيـبة تقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى إلا الكفار وعليهم تقوم الساعة.

نسأل الله العافية.



فإذا تحققتَ أنهم مُقِرُّون بهذا وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ .

وعرفتَ أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا: "الأعتقاد"، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهارًا، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله؛ ليشفعوا، أو يدعو رجلاً صالحًا مثل: اللات، أو نبيًا مثل: عيسى.

وعرفتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده.

كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]

وتحقَّقتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله.

وعرفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم.

عرفتَ حينئذ التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرُّسل، وأبَى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: "لا إله إلا الله" فإن الإله عندهم هو الذي يُقْصَد لأجل هذه الأمور سواءً كان مَلَكًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنيًا، لم يريدوا أن الإله هو الخَالق الرازق المدبِّر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمتُ لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ "السيد"، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: "لا إله إلا الله".

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها.

والكفار الجُهَّال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمات هو: إفراد الله تعالى بالتعلق به، والكفر بما يُعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لَما قال لهم قولوا: "لا إله إلا الله" قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فإذا عرفتَ أن جُهَّال الكفَّار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني

والحاذق منهم يظن أن معناها: "لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله"، فلا خير في رَجُلٍ جُهَّال الكفار أعلم منه بمعنى: "لا إله إلا الله" (١).

١- يقول المؤلف -رحمه الله-: إذا تحقق لك ما تقدم مما ذكره المؤلف من أن المشركين يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، وأنه يحيي الموتى وأنه على كل

. . . .

شيء قدير، وأنه ينزل المطر وأنه على كل شيء قدير فيما يتصرف فيه سبحانه وتعالى، ولكنهم ينكرون توحيد الإلهية وتخصيص الله بالعبادة، ويرون أنه لا مانع من التعلق على الصالحين كاللات، أو على الأنبياء كعيسى، أو على غيرهم من الأشجار والأحجار لطلب البركة وطلب الشفاعة، كما فعلوا مع العُزَّى ومناة واللات، ومع عيسى وأُمه إلى غير ذلك ومع الملائكة، هم يرون أن التعلق بهؤلاء وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم أن هذا لا بأس به، وأن هذا لا يجوز منعهم منه.

ولهذا أنكروا على النبي ﷺ ذلك، قالوا له لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾

[الصافات: ٣٦ – ٣٧]

وهم لا ينكرون عليه دعواه بأن الله ربهم وخالقهم ورازقهم، مُنزِل المطر، مُجري الشمس والقمر، يعرفون هذا، ولكن أنكروا عليه لما دعاهم إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك النذر لغير الله والذبح لغير الله، ونحو ذلك مما كانوا يفعلونه ويرون أن النذر لغير الله والدعاء لغير الله وطلب الشفاعة من الملائكة ومن الأنبياء أن هذا لا يضر وأن هذا من باب التوجه بهم والتقرب بهم.

﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

ما قصدنا أنهم يَخْلِقون أو يرزقون أو يدبِّرون، لا!! نحن نعرف أن هذا لله، ولكنهم يعتقدون أنهم يقربونهم إلى الله، هذا الذي قاله المشركون الأولون، وأنكره النبي ﷺ، هو ما يقوله المتأخرون.

. . . .

المتأخرون يقولون في تعلقهم بالأموات والأنبياء والصالحين: إننا نريد شفاعتهم يشفعون لنا، لهم جاه فنعبدهم لأجل يشفعون لنا عند الله وينفعون عند الله، هذا الذي قاله هؤلاء هو الذي قاله الأولون، ولكن الأولين أخف منهم شركًا وأخف منهم لأن الأولين في حال الرخاء يشركون، وفي حال الشدائد يُخلصون لله العبادة، أما هؤلاء المتأخرين شركهم دائم في الرخاء والشدة مع الصالحين ومع غيرهم.

فالواجب أن يكون عندك تمييز لهذا الأمر، وأن دِين المشركين غير دين المسلمين، الرسول ﷺ دعاهم إلى توحيد الله، إلى طاعة الله، إلى ترك الشرك بالله سبحانه وتعالى، يدعوهم إلى ترك المعاصي فهم قابلوا هذه الدعوة بالصدود والمعاداة والخصومة وقاتلوه على هذا يوم بدر ويوم أُحد ويوم الأحزاب.

كل هذا دفاعًا عن دينهم الباطل عن تعلقهم على غير الله وشركهم بالله سبحانه وتعالى.

ولكن الله أيَّد نبيه ونصره عليهم حتى فتح عليه مكة عُنوة ودخلوا في دين الله أفواجًا، فجميع ما يتعلق بالدعوة يدل على معنى هذا، وأن المدعو إذا كان يتعلق بالأموات أو بالكواكب أو كذا هذا الذي يُدعَى ويُبين له، أما كونه يُشرك الربوبية هذا شرك زائد يكون أكفر من الأولين إذا زعم أن شيخه يتصرف في الكون يدبِّر الأمور، صار شركه أكبر من شرك أبي جهل وأشباهه.

فالأولون عرفوا التوحيد لله من جهة الربوبية الخَلق والرزق والتدبير، وأشركوا بالله في الإلهية العبادة في الخوف والرجاء والصوم والصلاة والذبح والنذر ونحو ذلك.

. . . .

أما هؤلاء المتأخرون شركهم دائم في الرخاء والشدة ومع الصالحين ومع غيرهم فصاروا أكثر شركًا وأشر من الأولين بسبب تساهلهم وعنادهم وعدم قبولهم النصح ومن شركهم في الرخاء والشدة.

فينبغي للمؤمن أن ينتبه لهذا وأن يعرف أن الشرك هو صرف العبادة لغير الله أو بعضها سواء كان الكافر يقر بتوحيد الربوبية أو لا يقر، مهما كانت حاله فإنه كافر ما دام يعبد غير الله ويستغيث بغير الله، وينذر لغير الله.

نسأل الله العافية.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: يجوز أن يُقال لعالم قد أقامكم الله مفزعًا للمسلمين وملاذًا للمؤمنين؟

ج: هذا معناه صحيح، مفزعًا لهم في تحصيل حقوقهم عن طريق المحاكم الشرعية عن طريق الإمارة، يفزع لهم الناس بإعطائهم حقوقهم، هذا معناه صحيح.

الدعاء لولي الأمر أن الله يجعله موفقًا، وأن الله يعينه على تحقيق حاجات المسلمين، وأن يكون يكون إذا فزعوا إليه حقق طلباتهم من إقامة الحدود، ومن جهة تخليص الحقوق، من جهة ردع الظالم إلى غير ذلك.

س: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ هذه الآية في اليهود والنصارى وكذلك نجد أن قريش عندما جاءهم الرسول اختلفوا وتفرقوا ولم يؤمنوا به رغم أن ما عندهم علم مثل اليهود والنصارى، يعني أنكروا كما أنكر أصحاب الكتاب فتلك نفس الطريقة، ما تقولون أحسن الله إليكم؟

. . . .

ج: اليهـود والنصارى هم الأسـاس في الشر في اخـتلافـهم بعد مـا جاءهم العلم، فـالله ينهى الأُمة أن تفـعل مثلهم لأن الجهـال ما عندهم علـم، والنصارى وأشباههم ما عندهم علم.

فالله ينهى أُمة محمد أن تختلف كما اختلف أهل الكتاب بعد ما جاءهم العلم جاءتهم التوراة جاءهم الإجيل واختلفوا ما اكتفوا بما أنزل عليه، أما اختلاف الكفرة هذا اختلاف ليس له أساس، اختلاف باطل اختلاف جهلة ما عندهم أشياء يركزون عليها، فـإذا منع الإختلاف في المركز على شيء فالاختـلاف المركز على جهل من باب أولى أن يُمنع.

س: نفس البينات التي جاءت هؤلاء هي التي جاءت هؤلاء، يعني أهل الكتاب وكفار قريش؟

ج: لا، البيِّنات ما عندهم بيِّنات، ما عندهم إلا الجهل، وأشباههم ما عندهم إلا الجهل ما عندهم بيِّنات.

س: بالنسبة لإطلاق كلمة إسرائيليين على اليهود، وكلمة النصارى على المسيحيين، هل هو من التمييع على أساس أن الناس ما تبغضهم؟ وهل صواب أن يقول نصراني بدل مسيحي؟

ج: هذا اصطلاح بينهم، اسـم المسيـحي يعني يعـبد المسـيح، وأهل الكتـاب المنتسبون إلى التورة والإنجيل.

المهم أن المؤمن لا ينتسب إلى اليهود والنصارى ولا إلى من يـتعاطى شيئًا من البدع كـالجهميـة والمعتزلة حتى يبـتعد عن الشرك وأهـله، وينتسب إلى أهل السُّنة الصحابة ومَن بعدهم ممن سلك السبيل الأقوم وهم السلف الصالح.

س: ما حكم التسمية بعبد السيد، أحسن الله إليكم؟

. . . .

ج: تركها أولَى، لأن يشتبه، وإلا السيد من أسماء الله، لكن يتسمَّى بالأسماء الواضحة، كعبد الرحمن، وعبد العزيز، وعبد العليم، فهذا أولى، وإلا السيد الله تبارك وتعالى.

س: هل الاختلاف في الأصول غير الاختلاف في الفروع؟

ج: هو أشد كاختلاف الجهمية وأشباههم مع أهل السُّنة.

س: إطلاق لفظ حُجة الإسلام على عالم هل يجوز؟

ج: الآن صار هذا كثيرًا، حُجة الإسلام، وهذا من التسامح في العبارات، إذا احتج أو تكلم أنه أهلٌ لذلك، كأن استدل ونبَّه الناس يُقال هو حُجة الإسلام لعلمه وفضله، والحُجة الحقيقية هي القرآن والسُّنة بإجماع السلف، لكن يعبِّرون عن بعض العلماء لكثرة عِلمه حُجة الإسلام، يعني أنه إذا تكلم حجة يحتج به لأنه يقيم الأدلة.

س: البعض يفتتن إذا قيل له: فلان مجد ببعض الكلمات، هل هذا يتساوى مع الذي لا يفتتن؟

ج: من هو الذي لا يفتتن، الحذر واجب، نسأل الله وإياكم العافية.

الحاصل: أن المؤمن يتجنب أسباب الفتن في الشرك والمعاصي جميعًا، يحذر ولا يقول أنا جيد وأنا مؤمن، إلا إذا دعته الحاجة أن ينبههم فقط، ولكن بغير مخالطة من غير تساهل بأنه يدعوهم إلى الله، ويحذر شرهم، لأنه إذا خالطهم وتساهل معهم قد يجرونه إلى باطلهم، وقد تشتبه عليه بعض الشُّبه قد يزين له الشيطان الشُّبه أو شيء من باطلهم، لكن يدعوهم إلى الله ويحذرهم من الشرك وهو على حذر أيضًا، نسأل الله العافية.

. . . .

س: البلاد التي تكثر فيها القبورية تؤكل ذبائحهم على أصل السلامة مثل إذا نزل بعض البلاد القبورية مثل مصر وباكستان له أن يسأل أو يكون على الأصل؟

ج: إذا كان صاحبه مسلم ما ظهر منه الشرك لا يسأل، أما إذا كان يتهمه يسأل ويخشى؛ لأن هذه البلاد ظهر فيها عبادة القبور، لكن إذا كان يعرف صاحبه ما يحتاج إلى السؤال، لكن إذا ما كان يعرف لا بأس يسأل.



إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفةَ قلب، وعرفتَ الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعرفتَ دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، وعرفتَ ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

وأفادك أيضًا: الخوف العظيم.

فإنك إذا عرفتَ أن الإنسان يكفُرُ بكلمة يُخرجُها من لسانه وقد يقُولُها وهو جاهل فلا يُعذرُ بالجهل، وقد يقُولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصًا إن ألهمك الله تعالى ما قصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فحينئذ يعظم خوفك وحرصُك على ما يخلصك من هذا وأمثاله[1]

١ـ يقول المؤلف ـ رحمه الله ـ وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمة الله عليه– المجدِّد لما اندرس من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، والمتوفى سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية –رحمه الله–: (إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفة قلبٍ)، يعني ما قلتُ لك من حال المشركين الأولين، وأنهم يعرفون أن

. . . .

الله الخالق الرازق المدبِّر المحيي المميت وأنهم إنما عبدوا الأصنام والأوثان والأشجار والملائكة والأنبياء، يقولون: إنهم يشفعون لهم ويقربونهم زلفى، ما عبدوهم لأنهم يخلقون أو يرزقون، لا، يعرفون أن الله هو الخلاق الرزاق المحيي المميت المدبِّر، ولكنهم عبدوا الملائكة والأنبياء والأصنام واللات والعزَّى وأشباههم يعتقدون أنها تشفع لهم عند الله وأنها تقربهم إلى الله زلفى، ومع هذا قاتلهم النبي ﷺ ، واستحل دماءهم وأموالهم حتى يخلصوا العبادة لله وحده.

(**وعرفت الشرك بالله**) الذي قاتلهم النبي ﷺ عليه، وأنه صرف العبادة لغير الله كالذبح والنذر والاستغاثة ونحو ذلك، هذا هو الشرك الذي هو أعظم الذنوب، الذي يستغيث بالشجر أو بالصنم أو بالملك أو بالأنبياء أو الأموات والنجوم، هذا هو الشرك، إذا استغاث بها أو نذر لها أو ذبح لها أو دعاها أو سجد لها أو نحوه وما أشبهه هذا أعظم الذنوب كما قال تعالى في هذا الشأن: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [النساء: ٤٨]، وقال فيه سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨] ، وقال فيه سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

(**وعرفت دين الإسلام**) الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، وهو توحيد الله والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا الدين الإسلامي الذي قال فيه سبحانه: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

دين الإسلام هو توحيد الله والإخلاص له، وترك الإشراك به، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو دين الإسلام، ما هو بالتقليد الأعمى والدعوة إلى الإسلام بغير نظر ولا عقيدة، دين الإسلام عقيدة وعمل.

. . . .

تعرف دين الله توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان به وبرسله، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنة والنار وغير ذلك، مع تصديق الرسول ﷺ واتباعه، هذا هو دين الإسلام، طاعة الأوامر وترك النواهي.

هذا هو دين الله الذي جهله الأكثرون، يدَّعون أنهم مسلمون وهم يعبدون الأشجار والأحجار والأصنام والأولياء من جهلهم.

(**وعرفت أن الإنسان قد يكفر بكلمة**) تصدر من لسانه قد يقولها وهو جاهل، وقد يقولها وهو يعتقد أنها تقربه إلى الله زلفى، قد يسب الدِّين، قد يستهزئ بالدِّين فيكفر بها وهو ما عنده بصيرة في هذا الأمر، يسب الله أو يسب الرسول أو يستهزئ بالدِّين أو يجحد ما أوجب الله أو يجحد بعض ما حرَّم الله فيكفر بذلك وهو لا يبالي ولا ينتبه.

إذا عرفتَ ذلك عرفتَ أن الله قد يسَّر لك فائدتين عظيمتين:

إحداهما: الفرح بفضل الله وبرحمته يعني لِما مَنّ عليك بهذا العِلم والبصيرة تفرح بفضل الله ورحمته.

فضل الله أن هَداك للإسلام، ومن رحمته أن جعلك من أهله، فضل الله أن عرفك بالإسلام هداك له، ومن رحمته أن جعلك من أهله كما قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨].

تفرح أن الله شرح صدرك، أن الله علَّمك وفهَّمك دينك وهداك له، ورحمك حتى تصير من أهله، هذه نعمة عظيمة.

الفائدة الثانية: الخوف، تخاف أن يصيبك ما أصاب الناس، وأن تهلك وتزل.

يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [تبارك: ١٢]

. . . .

ويقول: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ولما ذكر أهل الجنة قال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

تخاف الله، تخاف أن تزل قدمك، أن تقع في الشرك، أن ترتد عن دينك، أن تؤثر الدنيا على الآخرة، تخاف وتحذر مع الفرح بفضل الله ورحمته وما يسَّر الله لك من الهداية، تخاف ربك، تخاف أن يزيغ قلبك، تخاف أن تزل قدمك بسبب تفريطك وتساهلك أو إيثار الدنيا أو غير هذا من أسباب الردة.

هكذا المؤمن يفرح بفضل الله بحمد الله أن جعله من أهل الإسلام، ويستقيم ويجاهد نفسه في الله، ويخاف أن تزل قدمه، يخاف أن يزيغ قلبه، يخاف أن يقع فيما وقع فيه الأكثرون من الشرك بالله.

هكذا أُمرَ كما قال الله عن الرسل وأتباعهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال في أوليائه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ -مع عملهم الطيب- أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦١].

هكذا أهل الإيمان، هكذا الرسل وأتباعهم، يعملون الطاعات ويجتهدون في الخير ومع هذا يخافون الله، يخافون أن تزل أقدامهم، ويخافون أن تزل قلوبهم، ليسوا آمنين يخافون يحذرون.

هكذا المؤمن يكون خائفًا وجلاً حذرًا ما يأمن من مكر الله.

. . . .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إنه الإيمان، ومن الإيمان الخوف من الله والخشية له، ورجاؤه وتعظيمه، والإخلاص له والثبات على دينه، كل هذا داخل في الإيمان.

هؤلاء هم أهل الأمن والهداية، هم الموفَّقون بسبب إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم، وخوفهم من الله وحمايتهم لدينهم وحذرهم من أسباب الشر.

قال ابن أبي مليكة رحمه الله -التابعي الجليل-: (أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ما فيهم مَن يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل).

كلهم يخاف النفاق على نفسه، كلهم يخاف كلهم يحذر.

قال بعضهم: ومن يأمن بعد إبراهيم.

إبراهيم الخليل يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]. يخاف أن يصيبه ما أصاب الكثير.

والنبي ﷺ كان يتضرع إلى ربه يسأله سبحانه وتعالى: «**اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله**».

ويسأل ربه دائمًا عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**».

وهو نبي الله، وهو رسول الله، أفضل الخَلق عليه الصلاة والسلام.

ويقول: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**».

يحلف بالله أنه أخشى الناس لله، وأنه أخوف الناس لله، مع إيمانه العظيم وتقواه «**والذي نفسي بيده، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»، وفَّق الله الجميع.

. . . .

الأسئلة

س: ما الفرق بين الخشية والرهبة؟

ج: الرهبة والخشية والخوف كلها معنى متقارب.

س: يقول المؤلف: (وقد يقولها وهو جاهل ولا يعذر) ؟

ج: لأنه بين المسلمين، وعنده أهل العلم والكتاب والسُنة قريبين، فالمعنى أن هناك تساهل، وهذا هو الإنسان الذي يستطيع العِلم ولا يُبالي.

س: إطلاق على كلمة الشيخ (مولانا الشيخ) ؟

ج: ما ينبغي، يقول النبي ﷺ: «**لا يقولن أحدكم مولاي فلان، فإن مولاكم الله**» إلا في حق العبد المملوك وهو سيده ومولاه، فالمملوك يقول: سيدي مولاي، لا بأس أن يقول ذلك.

س: إطلاق كلمة (سيد) يعني إذا جاء أحد قال: يا سيد؟

ج: سيد، أمر سهل لا بأس، ولكن لا يقول: سيدي تركًا، والنبي ﷺ يقول: «**إن ابني هذا سيد**» عن الحسن، وكان يقول لرؤساء القبائل: «**مَن سيد بني فلان**» أي: مَن رئيسهم، ويقول لسعد بن معاذ: «**قوموا إلى سيدكم**» لَما جاء يحكم في بني قريظة، أي رئيسكم، فهي بمعنى الرئيس.

س: الاختلاف في مسائل العذر بالجهل، هل من المسائل الخلافية؟

ج: مسألة عظيمة، والأصل فيها أنه لا يعذر من كان بين المسلمين من بلغه القرآن والسُّنة، ما يعذر.

الله جل وعلا قال: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩].

. . . .

مَن بلغه القرآن والسُّنة غير معذور، إنما أوتي من تساهله وعدم مبالاته.

س: لكن هل يُقال هذه مسألة خلافية؟

ج: ليست بخلافية إلا في الدقائق التي قد تخفى مثل قصة الذي قال لأهله: حرِّقوني.

س: بالنسبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ما هي المسوغات التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب (كشف الشبهات)؟

ج: الذي دفعه الإيضاح للمسلمين الشبهات التي اعترضت لعُبَّاد القبور.

س: هل كانت موجودة في الدرعية؟

ج: في الدرعية وغيرها في مصر والشام والعراق، في كل مكان.

س: هل كانت هذه الأشياء موجودة في زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

ج: قبله بقرون، موجودة من بعد القرون الثلاثة المفضلة، كثر الشرك في الناس.

س: الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر أم الأكبر فقط؟

ج: الشرك الأصغر قد لا يدخل فيها.

لكن قد يغفر برجحان الحسنات، إذا رجح ميزان الحسنات لأنه من جنس الكبائر.

لكن قد لا يغفر له إذا مات عنه ولا رجح ميزانه قد يعذب عليه كما يعذب على الكبائر إذا مات عليها إلا أن يعفو الله عن الكبائر.

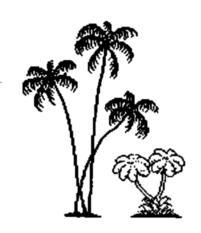
. . . .

س: القول بأنه أكبر من الكبائر؟

ج: هذا القول أقــرب وأظهر لأن تسميــة الشرك يكون أكبـر من الكبائر، هذا الأقرب.

س: يا شيخ، الآية ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ما الذي يجمعون، أحسن الله إليكم؟

ج: يعني من الدنيا، خير من جميع الدنيا، خير من مال قارون.



واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكون لأعداء التوحيد عُلُوم كثيرة وكُتُب وحجج، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعِلم وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحًا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك جل وعلا: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

[الأعراف: ١٦-١٧]

ولكن إذا أقبلتَ على الله وأصغيتَ إلى حُججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والعامي من الموحِّدين يَغْلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

فجُند الله هم الغالبون بالحُجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسِّنان، وإنما الخوف على الموحِّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد منَّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فلا يأتي صاحب باطل بحُجةٍ إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾

[الفرقان: ٣٣]

قال بعض المفسِّرين: هذه الآية عامة في كل حُجةٍ يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة (١).

١- يقول المؤلف -رحمه الله-، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي الإمام المشهور المجدِّد لما اندرس من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، والمتوفى رحمه الله سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، يقول -رحمه الله-: (واعلم أن الله جل وعلا لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء) من نوح إلى محمد ابتلاءً وامتحانًا يبتلي الأخيار بالأشرار، يبتلي الرسل بالأعداء، ويبتلي الدُعاة إلى الله بأعدائهم، فلا بد من التأهب وأخذ العُدة والسلاح لمجاهدة هؤلاء.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢ – ١١٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

فالرُّسل لهم أعداء ولهم شبه وحُجج يوردونها على الرُّسل وعلى أتباعهم، ولهم كتب يرجعون إليها ويشبهون بها، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

. . . .

أي من العلم الباطل علوم لا تنفع لكن يحصل بها التشبيه على دعاة الهُدى وعلى الرسل، ولكن متى كان صاحب الحق على بيِّنة وعلى بصيرة لم يبال بشبههم بل يهزمها ويبيِّن بطلانها لأنه على بصيرة .

كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

كما هدمها الرُّسل وبيَّنوا بطلانها، هكذا أتباع الرسل يُبيِّنون بطلان حُجج أهل الباطل وشبهاتهم، ويكشفون زيفها، ويوضحون الحق للناس بما أعطاهم الله من البصيرة والأدلة الشرعية.

كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات : ١٧٣] .

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات] .

قال تعالى : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾

[الحج : ٤٠ - ٤١]

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد : ٧]

صاحب البصيرة المتعلم الذي عرف الحق على بصيرة عرف التوحيد عرف الشرك على بصيرة لا تغره شُبه أولئك المشركين ولا تلتبس عليه بل يهدمها ويوضح بطلانها ويكشفها للناس كما سمعت قوله جل وعلا : ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٣] .

فلا يأتي صاحب باطل بحُجة إلا في القرآن ما ينقضها ويُبيِّن بطلانها وهم يشبهون بقوله جل وعلا : ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[يونس : ٦٢]

. . . .

وأي حُجة في هذا، نعم هم أولياء الله، لكن ما قال لك ادعوهم من دون الله، نعم ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كُن منهم، تعلَّم، واستقم على طاعة الله حتى تكون منهم، كونهم أولياء الله لا يجوز دعائهم والاستغاثة بهم، كما أن الرسل هم أفضل المؤمنين هم أولياء الله، ومع هذا لا تجوز عبادتهم من دون الله، فهكذا بقية المؤمنين هم أولياء الله وهم عِباد الله الصالحون، ولكن ليس لك أن تعبدهم، كما أنه ليس لك أن تعبد الرُّسل، بل اعبد الله وحده كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

هذا هو الأمر الواضح، إذا أخلص العبد لله، وصدق في طلب العلم، وتفقه في الدِّين، وتعلَّم الأدلة الشرعية، وعَني بالقرآن الكريم والسُّنة المطهَّرة، فإن الله يعينه على كشف حُجج أهل الباطل وإزالة شبههم وإظهار الحق.

وإنما يُخشَى عليه إذا سلك الطريق وليس معه سلاح يُخشَى على طالب العلم إذا كان مجرداً من السلاح، ما عنده سلاح العلم، ما عنده بصيرة، دعوى علم لكن بدون بصيرة، ليس علمًا حقيقيًا، والسلاح هو العلم قال الله قال رسوله، فإذا كان عنده علم وبصيرة، وأخلص لله، وصدق مع الله، فالله يعينه عليهم ويخلصه من شرهم، ولا يخشى عليه إلا من قلة العلم، أو من فساد النية، وعدم الإخلاص، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفَّق الله الجميع.

. . . .

الأسئلة

س: ما هي البصيرة؟

ج: العلم بما قاله الله ورسوله، وما عليه أهل الحق، وما عليه أهل الباطل، يميز بين التوحيد والشرك، بين الإسلام وضده، بما أعطاه الله من العلم.

س: الخوف ممكن يدخل في الشرك؟

ج: الذي يخاف الأصنام ويخاف القبور ويخاف النجوم، شرك.

س: يا شيخ، والذي يخاف من البشر؟

ج: إذا كان لهم أسباب يخاف من السلطان الظالم أو يخاف الطريق يأخذ السلاح ويتحرز ويبتعد عن أسباب الشر إذا كان له أسباب.

س: هل هناك فرق بين السبيل والطريق والصراط؟

ج: السبيل هو الطريق والصراط، كذلك هو الطريق الواضح، والصراط السبيل الواضح الذي ما فيه شُبه ولا اعوجاج.

س: يا شيخ، أحسن الله إليك، كل عامي مهيء لطلب العلم؟

ج: مهيء صار عنده عقل، صار يفهم ويعقل مهيء أن يتعلم.

س: يا شيخ، بعض النفوس تيأس قد يكون مداوم على حِلق الذكر وطلب العلم لكن مع مرور الزمن يأتيه الفتور ويأتيه الملل وقد يبقى عدة سنوات يقول .....؟

ج: التوفيق بيد الله، عليه تعاطي الأسباب والتوفيق بيد الله، كثير من الناس يتعلمون ولا ينجحون، إما لعدم الفهم وإما لعدم الإخلاص، وإما للأمرين جميعًا والذي يطلب العلم يكون عنده فهم وإخلاص.

. . . .

س: البصيرة هي بركة العلم؟

ج: البصيرة العلم نفسه.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يعني على علم وعلى بيِّنة وليس على جهالة.

س: كثير من المتسببين للسلفية يشترطون في إقامة الحُجة أن يكون من العلماء، فإذا وقع العامي على كلام كفر يقول: ما نكفِّره؟

ج: إقامة الدليل كلٌّ على حسب حاله.

س: هل يجب على العامي أن يكفِّر من قام كفره أو قام فيه الكفر؟

ج: إذا ثبت عليه ما يوجب الكفر كفَّره ما المانع.

إذا ثبت عنده ما يوجب الكفر كفَّره مثل ما نكفّر أبا جهل وأبا طالب وعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والدليل على كفرهم أن النبي ﷺ قاتلهم يوم بدر.

س: يا شيخ، العامي يمنع من التكفير؟

ج: العامي لا يُكفِّر إلا بالدليل، العامي ما عنده علم هذا المشكل، لكن الذي عنده علم بشيء معين مثل مَن جحد تحريم الزنا هذا يُكفَّر عند العامة والخاصة، هذا ما فيه شُبهة، ولو قال واحد: إن الزنا حلال، كفر عند الجميع، هذا ما يحتاج أدلة، أو قال: إن الشرك جائز، يجيز للناس أن يعبدوا غير اللههل أحد يشك في هذا، هذا ما يحتاج أدلة، لو قال: إن الشرك جائز يجوز للناس أن يعبدوا الأصنام والنجوم والجن، كفَر.

التوقف يكون في الأشياء المشكلة التي قد تخفى على العامي.

. . . .

س: ما هي الأسباب المعينة على ضبط العلم وإتقانه؟

ج: العناية بالقرآن والسُّنة وعلماء السُّنة، العلماء المعروفين بالثبات والعلم والبصيرة حتى يوجِّهوه.

س: يا شيخ، أحسن الله إليكم، بعض الناس يقول: لا ينبغي إشغال العامة بتقرير أمور العقيدة كالعلو وغيره؟

ج: العقيدة هي أهم الأمور، النبي عليه الصلاة والسلام قعَّد في العقيدة ثلاث عشر سنة وهو في مكة كلها في العقيدة، فالعقيدة هي أصل الدِّين.

س: هل يعد من أهل العلم من يقول هذه المقالات؟

ج: لا يُعد من أهل العلم، إنما يعد من أهل الجهل.

س: يا شيخ، بالنسبة لعقد المناظرات؟

ج: إذا دَعَت لها الحاجة، فلا بأس.

س: يكون ذلك بحضور العامة؟

ج: على حسب التيسير، فإذا كان بين العلماء أحسن فإن العامي قد تشتبه عليه الأمور، لكن إذا كانت مباهلة بحضرة العلماء يكون أكمل وأسلم.

س: يا شيخ، حديث علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعقلون)؟

ج: هذا شيء غير المباهلة.

س: مثل المناظرات يا شيخ؟

ج: المناظرات تكون بين أهل العلم ما تكون بين العامة.

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا.

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مُجْمَل، ومفصَّلٍ.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها؛ وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله، فاحذروهم».

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

أو استدل بالشفاعة أنها حق، أو أن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المُحْكَم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس ١٨]. هذا أمرٌ مُحْكَمٌ بيِّن، لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه.

وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام رسول الله ﷺ، لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] (١).

١ـ **هذا كلام المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- المتوفى سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، كلام عظيم جيد وسديد، يقول رحمه الله: إن جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصَّل**: لأن أهل الباطل من المشركين شبَّهوا على العامة بأشياء كثيرة واحتجوا على الشيخ بها وكاتبوه بذلك ليصححوا ما هم عليه من الباطل من دعوة أهل القبور والاستغاثة بالأموات وبالملائكة والجن، فأجابهم إجمالاً وتفصيلاً -رحمه الله-.

فالمجمل جواب لكل شُبهة يصلح للعالِم المتبصر ولغيره يجيب به.

فيقول لمن ادَّعى أن ما يفعله ليس من الشرك وأن التعلق بالأولياء والأنبياء ليس من الشرك وأن لهم جاه ولهم شفاعة وأن الله يشفعهم فيمن دعاهم أو استغاث بهم، تقول له: أنا قلتُ لك شيء مفصَّل واضح أن الله حرَّم الشرك ودعاء غير الله، وحكم على المشركين بالشرك والكفر بالله بدعاءهم الأموات والاستغاثة بهم أو بالرسل أو بالجن أو النجوم أو بغير ذلك، وهذا شيء مُحكم واضح من القرآن والسُّنة وسيرة النبي ﷺ.

وما قلته لي من أن لهم جاه عند الله ولهم شفاعة وأن الأنبياء لهم شفاعة ما أفهم أنه يدل على ما ذكرت من الشرك، ولا أعرف هذا من هذه النصوص

. . . .

وكـلام الله لا يتناقض وكلام الرسـول لا يخالف كـلام الله، والله أخبـر عن أهل الباطل أنهم يتبعون المتشابه به ويتركون الـمُحكم.

فالجـواب عليك أن تأخذ بالـمُحـكم الواضح الذي بيَّن الله فيه تحـريم الشرك وتحريم دعوة غير الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قال جل وعلا: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

كل هذا مُحكم واضح أن الله أبـطل شبهتـهم ورد عليهم وبيَّن كـفرهم، وأن زعمـهم أنهم يقربون إلى الله زلفى أنه شُبهــة باطلة ولا ينفعهم ولا يجـري عليهم بشيء.

. . . .

فعليك بهذا الـمُحكم الواضح، ودع عنك التـعلق بأشياء لا تدل على ما أراد بما يدل عليه قوله جل وعلا: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

نعم صحـيح، لكن ليس معناه أنهم يدعون من دون الله، ولا يستـغاث بهم، ولا ينذر لهم، وهكذا الأنبياء والصالحـون كلهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كلهم أولياء فلا يُدعون مع الله، عملهم لهم وصلاحهم لهم وعبادتهم لهم.

﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من أجل طاعتهم لله وقيامهم بحقه.

أما إنك تدعوهم مع الله، لا ليس هذا بحق.

كونهم يشفعون يوم القيامة، كون النبي ﷺ يشفع يوم القيامة، كونه له جاه عند الله ﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] في موسى عليه السلام، وجاه الرسول عظيم، والأولياء لهم جـاه ولهم منزلة عند الله ولهم شفاعـة، لكن مَن يقول إنهم يدعون مع الله لأجل هذا، هذا تعلق باطل بشفاعتهم لهم وكـرامتهم لهم يشفعون فيمن رضي الله قوله وعمله، والمشرك لا يرضى قوله ولا عمله ولا يشفع لأن الله جل وعلا يـقول: ﴿وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمـر: ٧]، ﴿إِن تَكْفُـرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وأخبر أن الكفار مغضوب عليهم وأنهم ضالون، وأنه لا شفاعة فيهم.

كل هذا مُحكم واضح، الكافر لا شفاعة له ولا ينفعه اعتقاده أن هؤلاء أولياء وأن لهم جاه، جـاههم له وعملهم الصـالح لهم، ولا ينفعـه هذا الذي تعلق به، وهكذا إيمانهم لهم وصـلاحهم لهم، ولا ينفع المشـرك كونهم صـالحين أو كونهم أولياء أو كونهم رسل لشركه الذي أبطل عمله .

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] .

. . . .

فالمشرك حابط العمل سواء أشرك برسول أو بولي أو بنجم أو بجن أو بصنم، عمله حابط وباطل، وهذه التعلقات بكونهم أولياء أو بكونهم رسل كلها باطلة، هم أولياء وهم رسل ولكن لا يجوز التعلق بهم كما أنه لا يجوز التعلق بالملائكة ولا بالجن ولا بالأصنام ولا بالكواكب ولا بغير ذلك.

وكل هذا واضح لأهل الإيمان والبصيرة، ولكن بعض الناس قد يخفى عليه لقلة علمه ولعدم بصيرته، قد يلتبس عليه بعض الأمر، لكن ينبغي لك أن تعلم أن هذا جواب جيد وأن تقوله له أنا أعطيك شيء مُحكم وأستدل عليك بشيء مُحكم أوضح لك شيء واضح، أما الذي يشتبه عليك أو عليَّ فدعه.

الله أخبرنا بأن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه، دعنا من المتشابه ونجتمع أنا وإياك على المُحكم الذي بيَّنه الله في قوله: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [يونس: ١٨].

وقال جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣].

هذا واضح بيِّن، رد عليهم ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧].

﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨].

﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ٢].

. . . .

الأسئلة

س: عفا الله عنك، الآية ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيها دلالة على ما يقولون؟

ج: هذا باطل، هذا مدح لهم لأنهم آمنوا واتقوا، وهل إذا مدحهم يصيرون يعبدون أو لا، الرسل ممدوحون أيضًا بأنهم أطاعوا الله وبلّغوا رسالاته، فهؤلاء عملهم له.

س: يا شيخ، في المدينة بعض الناس يقابل قبر النبي ﷺ ويرفع يديه، فهل يجوز أن يحسن به الظن أنه يدعو لنفسه؟

ج: يُعلَّم، يُعلَّم أن هذا غلط وجهل، ويُعلَّم إذا أراد الدعاء يستقبل القِبلة أو في مكان آخر حتى لا يشوش على نفسه أو يشوش على غيره، ويُظن به أنه يدعو الرسول ﷺ.

س: هل صح عن الإمام أحمد أنه يرى التوسل بالرسول فقط؟

ج: يُروى عنه، لكن المشهور عنه وعن غيره المنع، والجمهور المنع، يُروَى عن أحمد وهي رواية باطلة غلط، وحتى لو قالها أحمد وغيره الصواب المنع.

س: الكافر هل شرط أن يكون مشركًا؟

ج: كل كافر مشرك، وكل مشرك كافر، والمعنى واحد.

س: من هو المنافق ؟ وهل هو مشرك؟

ج: المنافق الذي يُضمر العداء للإسلام ويُبطن الكفر بالإسلام، وهو كافر أشدهم كفرًا، مشرك كافر ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

. . . .

س: من هم أولياء الله؟

ج: هم المؤمنون، المطيع لله ولرسوله، الله يجعلنا وإياكم منهم، كل من أطاع الله ورسوله واستقام على الحق هو من أولياء الله.

س: من يتعاطى الأعمال الشركية ولكن يقول إننا ما نعبدهم كالأولياء وأصحاب القبور والصالحين؟

ج: ولو قال ما نعبدهم، هو يقول ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، يقول قصدنا نعبد الله لكن نريد من هؤلاء أن يقربونا ما عبدناهم ذاتًا لكن نريد أن يقربونا لأنهم وسائل لا لأنهم يستحقون العبادة، يزعمون هذا.

س: ما يعرف أن الذبح عبادة والنذر عبادة؟

ج: يُعلَّم، الذي لا يعرف يُعلَّم، والجاهل يُعلَّم.

س: هل يحكم عليه بالشرك؟

ج: يُحكم عليه بالشرك، ويُعلَّم، أما سمعت الله يقول: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ما وراء هذا تنديدًا لهم، نسأل الله العافية.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾؟

ج: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ﴾ دللناه ووضَّحنا له.

. . . .

الرُّسل وضَّحوا، وعلماء الحق وضَّحوا، ولكن الضال يُعرض ما يبالي ولا يلتفت. عُبَّاد البدوي وعُبَّاد الحسين لو جئته ما يطيعك، يرى أن عمله طيب مثل ما قاله المشركون الأولون للنبي ﷺ لَما نهاهم:

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٤ - ٥].

هذا كلامهم، نعوذ بالله.

﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٦]

نسأل الله العافية.

س: من هو المنافق؟ وهل يعلم أنه منافق؟

ج: المنافق يتظاهر بالإسلام ويبطن الكفر، يبغض الإسلام ويعلَم أنه منافق، لكن لأجل الدنيا حتى لا يُقتَل حتى، لا يُقطع راتبه من بيت المال، حتى يُعطى كذا ويعطى كذا مثل عبد الله بن أُبَي بن سلول وأصحابه.

س: والزنديق هل تقبل توبته؟

ج: إذا تاب إلى الله فيما بينه وبين الله صحَّ إذا صَدَق.

س: العلماء الذين يرون العامة يفعلون الشرك ويسكتون عن ذلك هل يقال بكفرهم؟

ج: لا، يُقال إنهم مداهنون وعليهم جريمة، ولا يُكفَّرون إلا إذا رأوا أنهم مُصيبون إذا اعتقدوا أشياء لهم.

س: يعلمون أن هذا شرك صريح؟

ج: يصير مداهنة وتساهل.

. . . .

س: السؤال بجاه النبي ﷺ ؟

ج: بدعة.

س: قراءة القرآن للأموات من أهل العلم مَن قال أنها تصل؟

ج: الصواب أنها لا تصل.

ذكر الشيخ تقي الدين أنها لا تصل بلا نزاع، فقراءة القرآن لا تصل، ولا يجوز أخذ الأُجرة عليها، فإنه لم يرد عن النبي ﷺ ما يدل على وصولها، إنما جاء التقرب بالصدقات والحج والعُمرة والدعاء بإجماع المسلمين، هذا يصل وينفع للأموات، أما أن يقرأ عنهم يقرأ لهم ما عليها دليل.

س: الذي ورد فيه نص هو الذي يؤخذ به؟

ج: نعم، العبادات توقيفية.

وقيل: إننا وهابيون، نحن مسلمون غير متعصبين، وأنت جاهل تعلَّم حتى تعرف الحق، الحق ما يُعرَف بالرجال الحق يُعَرف بالأدلة، وتبيِّن له.

قُل: أدرس الأدلة وتأمل الأدلة، فالأدلة هي المحور هي التي عليها المدار، وأتباع محمد ﷺ ليسوا متعصبين.

المتعصب المقلِّد الذي يتبع أهل الباطل في باطلهم، لأنهم شيوخه أو لأنهم أجداده أو لأنهم آبائه أو لأنهم أصحابه ويتبعهم ويقلدهم تعظيمًا لهم، هذا المتعصب.

س: يا شيخ، سُمعة الدعوة الوهابية طيبة في هذه الجزيرة فقط؟

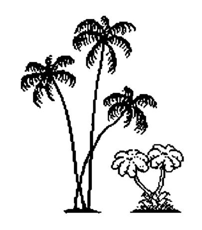
ج: هذا لا يضرهم والحمد لله.

. . . .

وهذه يدعوا إليها أهل البـاطل، نسأل الله العافية- مثل مـا دعا المشركون في عهد النبي ﷺ وبعده، تزين الشرك والدعوة إليه والتنفير من محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه.

س: عفا الله عنك، لكن الجهال يغترون بكلام هؤلاء؟

ج: يجب على أهل العلم أن يوضِّحوا، أهـل العلم الذين عندهم بصـيـرة وعندهم هُدى وعندهم عقيدة صحيـحة في بلادهم عليهم أن يوضِّحوا، نسأل الله أن يأتي بأهل العلم الصالحين، توكلوا على الله.



وأما الجواب المفصَّل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدم وهو: أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرُّون بما ذكرتَ، ومقرُّون أن أوثانهم لا تدبر شيئًا وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا؟

فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر.

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾

[الإسراء: ٥٧]

ويَدعُون عيسى ابن مريم وأمه.

وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥ – ٧٦].

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ – ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقل له: أعرفتَ أن الله كفَّر مَن قصد الأصنام، وكفَّر أيضًا مَن قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبِّر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] [1].

١ـ هذا من المؤلف –رحمه الله– وهو الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي –رحمه الله– شيخ الإسلام في زمانه وهو المجدِّد لما اندرس من معالم

. . . .

الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر المتوفى سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، فقد وفَّقه الله حتى بلَّغ الدعوة لَما رأى الناس في جاهلية جهلاء وعبادة الأولياء والأصنام والأشجار والأحجار شرح الله صدره للدعوة فقام بها بعد ما درس في الحرمين على مشايخ الحرمين وبعد ما سافر أيضًا إلى العراق وأخذ عن بعض علماء العراق رجع واشتغل بالدعوة في العقد الخامس من القرن الثاني عشر ثم في العقد السادس ولم يزل يدعو إلى الله في حريملاء ثم انتقل إلى العيينة المعروفة .

ثم انتقل من العيينة إلى الدرعية في عام سبع وخمسين ومائة وألف مع الهجرة النبوية، واتفق مع أميرها الأمير محمد بن سعود على الدعوة إلى الله، ومحمد هذا هو جد الأسرة الموجودين الآن الأسرة المالكة الآن.

فقام بالدعوة -رحمه الله-، فساعده محمد وأبناء محمد والعلماء في زمانه من أهل الصدق علماء الحق والسُّنة ساعدوه في ذلك، واجتهد في الدعوة والبلاغ والإرشاد والتبصير بالجواب المجمل كما تقدم وبالمفصَّل لأن أهل الشُّبه أقسام منهم الفاهم يحتاج إلى التفصيل ومنهم الجاهل يكفيه الرد المجمل.

المقصود: أن أعداء الله من المشركين لهم شُبه يُشبهون بها الناس على دين الرسل ويلبِّسون بها على الناس، فلهذا ذكر الجواب المفصَّل الذي يرد به على المشركين .

فإذا قالوا: لا تجعلونا مثل الكفَّار الأولين فالكفار الأولون يعبدون الأصنام هُبل وما هبل ونحن ما نعبد الأصنام بل نتوسل بالصالحين والأنبياء والأخيار .

فتقول له: أنت فعلتَ مثل ما فعلوا، ما هم يعبدون الأصنام وحدها يعبدون الأصنام يعبدون الأنبياء ويعبدون الصالحين مثل ما ذكر الله عنهم، عبدوا اللات

. . . .

وهو رَجُل صالح، عبدوا عيسى وأمه، عيسى نبي، وأمه صالحة، وعبدوا الأولياء إلى غيرهم من سائر الصالحين فهم مثلهم.

فإذا قال: أنا لا أشرك بالله شيئًا وأنا أعرف أن الله هو الخلاق الرزاق المدبِّر المحيي المميت ولكني أطلب منهم الشفاعة وأتوسل بالله أن يقربوني إلى الله تقول له: هذا هو دين المشركين، اعبد الله وحده وادعه وحده لا تدعو مع الله الأصنام ولا الأنبياء والصالحين، الدرب واحد سواء دعوتَ نبيًا أو صالحًا أو صنمًا أو شجرًا كله شرك بالله لا يجوز، وإذا كانوا صالحين وأنبياء صلاحهم لهم ليس لك، صلاحهم لهم وأعمالهم لهم، لكن التوسل يكون بأعمالهم الطيبة تقتدي بهم تصلي كما صلوا تصوم كما صاموا تخلص العبادة لله كما أخلصوا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما فعلوا.

هذا التأسي بهم تعمل مثل أعمالهم الطيبة، أما أن تدعوهم مع الله تقول يا رسول الله انصرني أو اشف مريضي أو يا سيدي عبد القادر أو يا أحمد البدوي أو يا حسن أو يا حسين أو يا علي، أو تدعوهم تقول لي ما أعبدهم ولكن أدعوهم لأنهم صالحون أو لأنهم أنبياء هذا عين الشرك نفس عبادة أبي جهل وعتبة بن ربيعة وأشباههم من كفار قريش هذا دينهم، ذكر الله عنهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣]، ما نعبدهم لأنهم يخلقون ويرزقون، لا، نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

قال تعالى في حقهم: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [يونس: ١٨] .

فالله قال عنهم: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ [المدثر: ٤٨] .

. . . .

طلبوها من غير وجهها الذي يريد الشفاعة يطلبها من الله يقول اللهم شفِّع فيَّ أنبياءك، اللهم شفِّع فيَّ عبادك الصالحين، يسلك طريقهم يعبد الله كما عبدوه، يدعوه كما دعوه، يستغيث كما استغاثوا، يسيرون على نهجهم في العبادة لله وحده في طاعة أوامره وترك نواهيه، أما أن يدعوهم مع الله يستغيث بهم ينذر لهم ويذبح لهم ويطوف بقبورهم هذا نفس فعل المشركين الأولين، هذا دين الأولين، دينهم الشرك والتقرب إلى الله بعباده الصالحين، وبجعلهم وسائط يدعونهم مع الله ويستغيثون بهم ويقول هؤلاء شفعاؤنا عند الله، هذا هو نفس ما قاله الأولون سواء بسواء كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾

[سبأ: ٤٠ – ٤١]

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ هم غافلون عن ذلك الدعاء ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦].

عُبَّاد المسيح وأمه وغيره من الصالحين: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الذين الشرك ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾

[الإسراء: ٥٧]

هذا شأنهم، يعبدون الله ويتقرَّبون إليه ويخافونه ويرجونه وهم أنبياء صالحون، فإن كنتَ صادقًا تريد أن تتبعهم فاعمل كأعمالهم لا تعبدهم هم عبيد مثلك، مخلوقون مرزوقون ما يملكون لك ضرًا ولا نفعًا كما أنك مقر بذلك.

﴿وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]

. . . .

فإذا كانوا هكذا وأنت تقر بهذا فادع الله الذي دعوه، واعبد الله الذي عبدوه، وانذر له واذبح له وصلِّ له وصُم له وغير ذلك من العبادات التي فعلوها حتى تكون مثلهم، وحتى يحصل لك الأجر والثواب والنجاة مثل ما حصل لهم.

هذه حال المشركين في زمان المؤلف وفي زماننا الآن وقبل زمان المؤلف هذه حالهم، وهكذا في زمن قريش، وهكذا في زمن الأوائل زمن قوم نوح وقوم صالح كلهم هذا شركهم، نادر من يقول أن الآلهة تخلق وترزق، هذا شرك نادر شرك الربوبية.

أغلبهم مشركين شركهم في الألوهية في التعبد وطلب النجاة، والتوسل بهم بطلب شفاعتهم، طلب تقربهم إلى الله، طلب أن يشفوا مريضهم لا أنهم يشفون بأنفسهم، لكن يشفون مريضهم لأنهم يشفعون إلى الله ويسألون الله وهم رفات في القبور.

هذا من الجهل العظيم، ميت قد انتقلت روحه من جسده لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا هو الذي يشفع لك هو الذي يخلصك من العذاب من المرض بشفاعته، هذا هو الجهل الكبير، نسأل الله العافية.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: مَن يقول: طِب القلوب ودوائها؟

ج: كلام ما هو بصحيح، مُجمل.

طِب القلوب باتباع الشرع، ودوائها باتباع الشرع، لكن هذا طِب بنفسه ودوائها بنفسه.

. . . .

وأنه ينفع ويضر هذا ما يصلح هذا يوهم يكفي أن تقول: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، أو تقول: اللهم صلِّ على محمد النبي الأُميِّ.

س: .... يُحكم عليه بالكفر أم لا؟

ج: كفر أكبر مثل لو صلى لهم دعاهم أو استغاث بهم وهو يعتقد أنهم شفعاء ويدعوهم لا أنهم يخلقون أو يدبرون، يدعوهم ليشفعوا هذا الشرك الأكبر، أما لو طاف بالقبور ويظن أنه مشروع ويقول إنما أقصد الله في طوافي يقصد أنه مثل الكعبة يجوز الطواف به، هذا شرك وبدعة، وهذا نادر. فالطواف الذي يحصل منهم الغالب أنهم يقصدون التقرب إليهم، هذا المعروف عنهم.

س: هذا الذبح عند عتبة المنزل هل هو شرك؟

ج: هذا للجن، هذا يفعلونه للجن، وهذا شرك أكبر، هذا عبادة للجن.

س: إذا كان التقرب للجن فقط؟

ج: لا، هم يقولون للجن حتى يكفُّون شرهم نذبح لهم حتى لا يؤذوننا في بيوتنا، هذا قصدهم، هذا يفعل في الجنوب، لكن زال والحمد لله.

س: كثير من الطلبة يفهم من الشرك أنه طلب قضاء الحاجة من الأموات وأنه إذا طلب من الميت الشفاعة والدعاء يعني يدعو له فيقول هذا ليس من الشرك لكن يكون بدعة؟

ج: هذا من الشرك الأكبر، لا يستطيعون أن يدعوا له ولا يشفعوا له، كلهم مرتهنون بأعمالهم، والدعاء والشفاعة تكون في حياته، ولهذا لما استسقى عمر بالصحابة لم يستسق بالنبي ﷺ يشفع لهم إنما استسقوا بالعباس وبيزيد بن الأسود وبالدعاء، ولو كان هذا شرعي لاستسقوا بالنبي ﷺ، وقالوا: ادعُ لنا يا رسول الله.

. . . .

س: يا شيخ، سيدي عبد القادر الجيلاني هذا الذي ذكره شيخ الإسلام كان في أي سنة؟

ج: أظنه في القرن السادس.

س: ما ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد القادر شيء؟

ج: من العلماء له أغلاط وله أخطاء مثل غيره، نسأل الله أن يوفِّق الجميع.

المقصود: من أهم الأمور في حق المؤمن أن يطلب العلم وأن يتفقه في الدين، وإذا يسَّر الله له الدروس في العِشاء أو في العصر أو في أي وقت فمِن نِعَم الله العظيمة فليحضرها ويستمع ويستفيد ويسأل.

والله عز وجل يقول في كتابه العظيم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فأولوا العلم هم الذين عرفوا الله وعرفوا حقه وعرفوا دينه، والعلم لا يحصل إلا بالتعلم.

ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة لا تكون إلا بالعلم.

قال النبي ﷺ: «مَن سلك طريقًا يلتمس فيه عِلمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة».

وقال ﷺ: «مَن يُرد الله به خيرًا يفقه في الدِّين».

فالتفقه في الدِّين هو طريق العبادة وهو طريق السعادة وهو طريق معرفة ما يحبه الله وما يكرهه الله وما أوجبه الله وما نهى الله عنه، فكل مكلَّف من جن وإنس يلزمه التعلم والتفقه في كل ما لا يسعه جهله حتى يعرف ما خُلِق له من طاعة الله وما نهى عنه من معاصي الله، وحتى يعبد الله على بصيرة.

. . . .

هذا واجب على جـمـيع المكلَّفـين من الجن والإنس من الرجـال والنسـاء أن يتفقهـوا في الدِّين وأن يتعلموا، وذلك عن طريق القرآن بتدبر الـقرآن والإكثار من تلاوته والسؤال عما أشكل، ومن طريق سُنة الرسول ﷺ وأحاديثه، ومن طريق ما يقع من الخُطب في الـجُمع والدروس في المساجد والمواعظ والمحاضرات .

هذه هي الطرق التي يُعْلَم بها الدين، يُعرف بها ما شرع الله وما أمر الله.

فـالواجب على المكلَّفين أن يجتهدوا في هذه الأشياء حتى يعلموا ما أوجب الله عليهم وما حـرَّم الله عليهم، وأعظم ذلك وأيسره وأسهله العناية بـالقرآن، يستطيع يقرأ القـرآن في بيته ويتـدبر ويتعقل، وكـذلك يسمع إلى إذاعة القـرآن فيهـا قُرَّاء مجيدون فيها مواعظ، إذاعة القرآن فيها خير كثير عظيم، فيها مواعظ ومحاضرات وقراءة القرآن وتفسـير، ونور على الدرب في الساعة التاسعـة والنصف ليلاً، خير عظيم.

فـيـجب على أهل العلم ويجب على العـامَّة أن يتـعلموا، الـرجال والنسـاء الجن والإنس، الجن خلِقوا لهذا، والإنــس خلُقوا لهذا، فعلى الإنس والجن جمـيعًا أن يتعلمـوا ويتفقـهوا في الدِّين وأن لا يتسـاهلوا في هذا الأمر سواء كـانوا رجالاً أو نساءًا، سواء كانوا معذورين أو غير معذورين من جهة الأمراض وغيرها.

فـالمعذور الذي لا يحـضر الدروس في المـساجـد يسمع إذاعـة القرآن يسـأل بالهاتف ويكتب إلى العلماء ويقول أشكل عليَّ كذا.

والآن يسَّر الله الهاتف فـهو نعمة من الله، يسأل عـن طريق الهاتف، ويسأل عن طريق المكاتبة، يوصي ثقـة يقول أسأل فلان عمـا أشكل عليَّ من كذا وكذا، وأيضًا المرأة كذلك توصي أو تسأل بالهاتف أو تكتب.

. . . .

والأمور بحمد الله ميسَّرة، لكن المصيبة الإعراض والغفلة وعدم المبالاة هذه هي المصيبة، نسأل الله العافية.

س: بالنسبة لدعوة القبوريين هناك ناس يخالفونهم ويقولون نحن ندعوهم إلى الله عز وجل ومع ذلك يطوفون معهم، فهل هذه الطريقة صحيحة؟ وهل منهجهم صحيح؟

ج: إذا جلس بينهم يعلِّمهم مثل ما كان يجلس النبي عليه الصلاة والسلام مع المشركين ويعلِّمهم إذا جلس للتعليم ما يأخذهم أصدقاء إذا جلس معهم وبقي معهم وخالطهم أو حاضر فيهم يدعوهم هذا الواجب عليه.

س: من هؤلاء من يطوف معهم؟

ج: لماذا يطوف معهم؟ لا يطوف معهم هذا غلط لا يطوف بالقبور، لكن يعلمهم ويرشدهم، ويقول هذا منكر وأنه إذا طُفتَ تقربًا إلى صاحب القبر هذا شرك أكبر، وأن هذه عقيدة المشركين يطوفون يتقربون لصاحب القبر، هذا المعروف عنهم.

س: من يفعل ذلك يقول أن منهجهم الترغيب؟

ج: طوافه معهم دعوة للشرك.

س: يا شيخ، مثل بعض دعاة التبليغ في الهند وباكستان يقولون هذا؟

ج: ما بلغني عنهم أنهم يطوفون معهم بالقبور، لكن من فعل هذا فهو ضال مُضِل، نعوذ بالله.

س: من نشأ ببادية أو بيئة جاهلية؟

ج: يُعلَّم أن هذا شرك أكبر حتى يتوب، يُقال له هذا شرك أكبر عليك بالتوبة إلى الله.

. . . .

مثل ما كان المشركون يطوفون بالقبور ونصبوا عند الكعبة ثلاثمائة صنم وأرشدهم النبي ﷺ، فالذي أجاب وهداه الله الحمد لله، والذي ما أجاب مشركٌ، هذا وأغلبهم جهَّال، خرجوا إلى بدر جهَّال، وإلى أُحد جهَّال، تابعوا رؤساءهم.

قال الله جل وعلا: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٤].

مع هذا حُكِمَ عليهم بالكفر.

س: ما ذكره الشيخ التويجري في جماعة التبليغ؟

ج: مَن عرف منهم حُجَّة على مَن لم يعرف، مَن عَلِم منهم يكون حُجَّة.

س: يا شيخ، بالنسبة لأهل المخدرات وأهل الخمور مثلاً الدخول معهم في أماكنهم أحسن الله إليكم؟

ج: المقصود إذا كان وقف نفسه للدعوة وليس يتخذهم أصدقاء وأحباب يأكل ويشرب معهم يكون راضيًا، لكن يقف عليهم ويدعوا، هذا لا يجوز هذا محرَّم، ويواعدهم في مكان معين ينصحهم مثل ما كان النبي ﷺ يعظ المشركين ويتكلم معهم مثل ما صعد الصفا ودعاهم إلى الله عز وجل.

س: بعضهم يكون في حالة سُكر لما أنصحهم في مكان؟

ج: على كل حال يروا الأوقات المناسبة، يقول لهم موعدكم في المكان الفلاني تحضرون للدعوة، إذا كانوا صادقين يحضرون.

س: الداعي إذا أراد أن ينصح هل يسمح بالمنكر أمامه؟

ج: لا، يُنكر عليه.

. . . .

س: الطواف بالكعبة لما كان المشركون يطوفون بها كانوا يقصدون الأصنام الثلاثمائة وستين صنمًا أو ماذا كانوا يقصدون؟

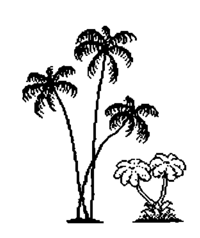
ج: ما أدري والله هم يعبدونهم للتقرب إليهم أما الطواف، الله أعلم، لكن هم ما نصبوها إلا ليتقربوا إليها ويتشفعون بها .

س: مثل دعاة القبور لو أرسلنا إليهم أشرطة كتيبات عن التوحيد؟

ج: هذا ينفع هذا من سُبل الدعوة.

س: يا شيخ، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ هل المقصود بها الإنس؟

ج: المقصود بهذا الجن الذين يسترقون السمع عن الملأ الأعلى.



واعلم: أن هذه الشُّبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفتَ أن الله وضَّحها لنا في كتابه، وفهمتها فهمًا جيدًا فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنتَ تُقِرُّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله ؟

فإذا قال: نعم.

فقل له: بيِّن لي هذا الذي فرضه عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك.

فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبيِّنها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذه عبادة لله؟

فلا بد أن يقول: نعم، والدعاء مخ العبادة.

فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادة، ودعوتَ الله ليلاً ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوتَ في تلك الحاجة نبيًا أو غيره، هل أشركتَ في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا علمتَ بقول الله تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وأطعتَ الله ونحرتَ له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرتَ لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مُقرُّون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدًا (١).

١- بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، أما بعد:

فإذا عرفتَ أن هذه الشُّبه الثلاث قد بان بطلانها وهي أكبر ما عندهم عرفتَ أن ما بعدها أهون منها، قدَّم الشُّبه الثلاث:

قوله: كون المشركون يشركون مع الله في الخَلق والرزق وأنا لا أشرك بالله شيئًا أعرف أن الله هو الخالق الرازق.

بيِّن له أنهم ما أشركوا في الخَلق، يعرفون أن الله هو الخلاق الرزاق.

كذلك إذا قال: إن الشرك هو عبادة الأصنام .

بيَّنت له أن المشركين عبدوا الأصنام وغير الأصنام.

فإذا قال: أنا لا أعبد الصالحين وإنما أتقرب إليهم ليشفعوا لي.

فقل: هذا قصد المشركين ما عبدوهم لأنهم يخلقون ويرزقون، عبدوهم ليشفعوا لهم ويتقربون إليهم ويقربوهم إلى الله، هذا هو، فنفس ما قلتَ هو الذي فعلوه.

. . . .

وقد تبين بطلان هذه الشُّبهة، تبين أنهم مشركين مقرُّون بأن الله هو الخلاق الرزاق وأنه ربهم، وأن شركهم كان في غير ذلك من التقرب إلى غير الله بالعبادات، وعرفتَ أيضًا أن شرك المشركين ما المقصود به عبادة الأصنام، منهم مَن عَبَد الأصنام، ومنهم من عَبَد الملائكة، ومنهم مَن عَبَد الأنبياء والصالحين، وكذلك عرفتَ أنهم إنما عبدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم، هذا نفس قصد الآخرين كما كان قصد الأولين.

فإذا عرفتَ بطلان هذه الشُّبه الثلاث عرفتَ أن ما بعدها أيسر منها.

ومعلوم أن الأولين يؤمنون بالله وأنه الخلاق الرزاق المدبِّر للأمور، ومع هذا حكَم الله عليهم بالكفر، وقاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم، فهكذا من بعدهم.

فإذا قال: أنا لا أعبد إلا الله .

فقل له: ما معنى العبادة، فَسِّر؟

فإذا قال: أنا أعتقد بأن الله الخالق الرازق .

قل له: مضى أن هذا أقرَّ به المشركون، يقرون بأن الله الخالق الرازق وأنه ربهم ومدبر أمورهم .

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله ولكن أعتقد في الصالحين أنهم يشفعون ويقربون.

قل: هذا هو شرك الأولين، فسِّر ما معنى عبادة الله؟

فإذا قال: عبادة الله، أني أدعوه وأطلب منه الهداية والرزق.

فقل: هذه العبادة التي تؤمن بها وتقر بها إنها عبادة لله إذا دعوته تطلب الرزق تطلب الشفاء تطلب كذا هذه عبادة.

. . . .

فإذا صرفتها لغير الله طلبتها من الولي من الصنم من الجن من الملائكة ألا تكون أشركت بالله في هذه العبادة؟

فلا بد أن يقر، وهكذا الصلاة والذبح، فإذا صلى العبد لله وذبح لله هذه عبادة؟ فيقول ولا بد: نعم.

فإذا ذبح لغير الله ذبح الإبل والبقر أو الغنم أو الأصنام أو صلى لها أو سجد لها ألم يكن عبادة لها ؟

فلا بد أن يقول: نعم -محجوج-.

وبهذا يتبين بطلان شُبه المشركين، وأن من فصَّلها وانتبه لها وجادلهم بالحكمة والأسلوب الحسن يتضح الأمر، من أراد الله هدايته وأن من أراد الله شقاوته فلا حيلة فيه .

كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ – ٩٧].

من استحكمت في حقه الشقاوة ما ينتبه يجحد ويعاند ولو جاءته كل آية، فأبو جهل وعتبة بن ربيعة وأشباههم جاءتهم الآيات، فسَّر لهم النبي ﷺ الآيات ولكن كفروا عن جحد وعن عناد .

كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

هؤلاء كذبوا يجحدون.

وقال في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

. . . .

فالمقصود أن كثيرًا من أعداء الله جحدوا عنادًا لا عن شك فيما جاء به الرسول، ولكن يحمله الجحد أو حب المال مثل ما فعل بلعام الذي انسلخ من دينه -نسأل الله العافية- هو يعلم أن موسى جاء بالحق ومع هذا يدعو عليه وعلى بني إسرائيل طاعة لقومه وإيثارًا للدنيا على الآخرة، حتى أهلكه الله وانسلخ من العلم والإيمان، نسأل الله العافية.

المقصود أن المشركين أقسام:

-منهم الجهلة وهو الأغلب، الأغلب الجهل كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

هذا حال الأكثرين.

-ومنهم من يكفر جحدًا وعنادًا وتكبرًا، وإلاَّ هو يعلم أن الحق مع الأنبياء مع المؤمنين، ولكن يقول: أنا ما أتبع هؤلاء ولا أكون تبعًا لهؤلاء.

ولا يرضى أن يكون تبعًا للمسلمين تكبرًا وعنادًا وبغيًا أو من أجل مال يعطى إياه أو وظيفة يأخذها ولو أسلم لنزعت منه.

فيترك الإسلام من أجل الوظيفة أو من أجل المال الذي يتقاضاه، أو من أجل محبة الأقارب يكون معهم في كفرهم وما أشبهه.

كما جرى لكثير من كفار قريش وغيرهم حملهم البغي والحسد والجحود والتكبر على إنكار الحق وعدم الرضا به كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم، ومثل أبي طالب عمِّ النبي ﷺ، وما أشبههم.

❑ ●● ❑

. . . .

الأسئلة

س: يا شيخ، ما يعرفون هذه العبادة التي تجب له؟

ج: هم أقسام، أكثرهم لا يعرفون جهَّال، وبعضهم معاند مثل ما تقدم.

س: أصل إخلاص العبادة كلهم مقرون بذلك؟

ج: لكن بعضهم جاهل يحسب أن دعوة الأولياء والاستغاثة بالأولياء لا يخرجه عن كونه مسلمًا، وأن هذا لا بأس به لأنه ما دعاهم لأنهم مستقلون دعاهم لأنهم واسطة، فظن أن هذه الواسطة لا حرج فيها، والواسطة هي الشرك الأكبر كالذي فعله قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم كلهم يقول: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾، ويقولون: ﴿**هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾.

س: بعض القبوريين أو المشركين هذه الأيام قد يحصرون العبادة في الصلاة لذلك لا يصلون لغير الله ولو فعلوا غير ذلك؟

ج: هذا من الجهل.

الله جل وعلا قال: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال: ﴿**فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت: ٥٦].

﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ [البقرة: ٢١].

ما خصَّ الصلاة فقط.

﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

. . . .

س: يا شيخ، عندنا هنا بعض الشباب لا يؤمنون بشيء؟

ج: دهريين لا يؤمنون بشيء، لا يؤمنون بالآخرة، ولا برب ولا شيء، مثل الشيوعية، لا يؤمنون برب ولا خالق إنما هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا.

س: هل هم مشركون يا شيخ؟

ج: هذا أعظم، هذا أقبح، هذا كفر الإلحاد، هذا كفر الجحد والإلحاد، هذا كفرهم أعظم من كفر قريش. فالشيوعيون هم الملحدون ما يؤمنون برب ولا خالق ولا رازق، يصير كفرهم أكبر.

س: لماذا سموا مشركين؟

ج: لأنهم عبدوا أهوائهم.

س: من جاء إلى قبر يطلب منه أن يدعو له عند الله؟

ج: ما يملك ذلك إذا قال له اشفع لي أو ادع لي شرك على الصحيح، فإذا قال للقبر ادع لي أو اشفع لي، فإن هذا لا يجوز طلب منه مالاً يقدر عليه.

س: صرح بعض الناس أن هذا هو قول ابن تيمية؟

ج: صرَّح ابن تيمية بأن هذا شرك أكبر.

س: حديث الدعاء مخ العبادة؟

ج: فيه ضعف، لكن الصحيح: «**الدعاء هو العبادة**»، هذا أصح ألفاظه، فحديث (الدعاء مخ العبادة) فيه ضعف ومعناه صحيح.

س: من يقول إن الكفر التكذيب؟

ج: هذا جاهل مركَّب، نسأل الله العافية، فلو سبَّ الله وما كذَّبه يكون كافرًا.

. . . .

س: هل يخرج من الملة؟

ج: بلى، يصير كافرًا، الذين يرون أن الكفر التكذيب معناه أن الذي يصلي لغير الله أو يسجد لغير الله ولا يكذِّب ولا يسب الله ما يصير كافرًا حتى يكذِّب، نسأل الله العافية.

س: بعض العوام يقول: دعوت الله عز وجل فترة طويلة، هل يقال له اصبر أو ربما أن الله عز وجل يؤجلها لك في خير؟

ج: يصبر، يقول النبي ﷺ: «ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له في الدنيا أو تدخر له في الآخرة أو يصرف عنه من الشر مثل ذلك» قالوا: يا رسول الله، إذن نُكثر؟ قال: «الله أكثر».

والله سبحانه وتعالى حكيم عليم، قد يؤجلها لأنه قد تضره الإجابة.

س: بعض الناس يصلي خلف مَن يأتي الشرك الأصغر ويقول إنه جاهل وهو مسلم ويصلي وراءه؟

ج: إذا عرف أنه مشرك شرك أكبر ما تصح الصلاة خلفه بإجماع المسلمين، فإنه لا تصح الصلاة خلف المشرك بإجماع المسلمين، إذا عُرف أنه مشرك.

س: الصلاة خلف الكهان؟

ج: لا يُصلَّى خلف الكاهن لأن الكاهن قد يكون مشركًا، وقد يصدِّق السحرة والمنجِّمين، وقد يصدِّق غيرهم فيكون مثلهم.

س: توجد فتوى من الشيخ ابن عثيمين: مَن وقعت منه حادث سيارة من غير تفريط لا شيء عليه، فنرجوا منكم التوضيح؟

ج: هذا هو الراجح، لأنه ما فرَّط يمشي مشيه العادي ما فرَّط.

. . . .

إنما يلزمه الكفَّارة أو الدية إذا كان للتفريط بمثل السرعة أو غيرها، يعني بسبب منه، هذا هو الراجح.

س: دعاء الله عند القبر؟

ج: بدعة، الدعاء عند القبر بدعة، والصلاة عند القبر بدعة.

س: ماذا يعني المؤلف عند قوله: الدعاء هو مخ العبادة، وهل الدعاء هو أصل التوحيد؟

ج: الدعاء مخ العبادة، الدعاء من أصل العبادة.

قال الله جل وعلا: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، سمَّاه عبادة، سبحانه وتعالى.

س: في بعض الأحيان أنصت لقراءة الإمام ويصيبني شك هل قرأت الفاتحة أم لا، وبعض الأحيان لا أقرأها وأقول: هذا من وساوس الشيطان، فما حكم فعلي السابق؟

ج: الأصل أنه قرأها ما دام خلف الإمام، ويترك الوساوس ويجتهد في قراءتها ويحرص لأن الشيطان حريص على إفساد صلاة بني آدم.

مثل ما يشك هل قال سبحان ربي العظيم، هل قال سبحان ربي الأعلى، هل قرأ التحيات، الشيطان يوسوس عليه ويلعب به.

س: إذا لم يقرأ الفاتحة في الصلاة الجهرية؟

ج: تلزمه، ولا يتعمد تركها إلا إذا كان جاهلاً فيتحملها الإمام.

س: إذا لم يستطع أن يقرأها؟

ج: لا يلزمه أن يقرأها ولو قرأها الإمام، لكن إن كان يتعمد تركها ويعلم الحكم الشرعي تبطل صلاته على الصحيح، أما إذا كان ناسيًا أو جاهلاً فلا بأس

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتتبرأ منها؟

فـقل: لا أنكرها ولا أتبـرأ منها، بل هو ﷺ، الشافـع المشفَّع، وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٤٤].

ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال جل وعلا: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ولا يشفع في أحد إلا من بـعد أن يأذن الله فيه كمـا قال جل وعلا: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهو لا يرضى إلا التوحيد كـما قال جل وعلا: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعـة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد، تبيَّن لك أن الشفاعة كلها لله، فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ، وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعْطِيَ الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله؟.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، فقال تعالى: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨].

فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشَفِّع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾.

وأيضًا فإن الشفاعة أُعْطِيَها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلتَ هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه.

وإن قلتَ: لا، بطل قولك: (أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله) [1].

1- قال الشيخ ابن باز رحمه الله:

المؤلف -رحمه الله- بسط الكلام في الشفاعة، وقد أحسن الله له في ذلك وأوضح ما ينبغي إيضاحه وما فيه من الحُجة القاطعة لأهل الشرك.

فإنه إذا قال: أنا أطلب من الرسول ﷺ الشفاعة، أتنكر الشفاعة شفاعة الرسول؟ أتبرأ منها؟

تقول له: لا أنكرها ولا أتبرأ منها بل أثبتها، الرسول ﷺ له شفاعة الله، أعطاه الشفاعة وأعطى الأنبياء وأعطى الملائكة، هذا حق، ولكن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تطلبها منه هي ملك الله جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

هي مِلكُه يعطيها من يشاء، اطلبها من مالكها، ثم هو سبحانه لا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه، ولا يأمن إلا لأهل التوحيد، ولا يرضى إلا أعمالهم، وطلبها من الشخص من النبي أو من الفرط أو من المَلَك أو من الولي طلب ممن لا يملك.

المالك هو الله ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، ثم هو وقوع في الشرك، لأن طلبهم الاستغاثة بهم والنذر لهم هذا من الشرك به.

. . . .

وهذا يصادم قوله تعالى: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فالواجب أن يطلب منه سبحانه ويخص بالدعاء والطلب للشفاعة، لأنها ملكه فإنه لا يعطيها إلا مَن رضي الله قوله وعمله.

كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

قال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

ما يرضى لعباده الكفر، فلا بد من التوحيد الذي يرضاه الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

هو يرضى التوحيد والإسلام واتباع الرسول ﷺ هذا هو الدين هو الإسلام فإن أتيتَ به شفع فيك مع الناس أهل التوحيد في دخول الجنة، فإن دخلتَ النار بالتقدير بذنوبك كنتَ من أهل شفاعته إذا متَ على التوحيد والإسلام.

فالحاصل إن قال أتنكر؟

تقول له: ما أنكر بل أومن بها وأقر بها، ولكن لا بد من سؤالها من مالكها، والله سبحانه لا يعطيها إلا بإذنه ويرضى عمله لمن له الشفاعة ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

. . . .

وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ما يرضى الشرك.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

والشفاعة في الموقف لا تحصل إلا بعد إذنه سبحانه، أما الشفاعة في الجنة بعد إذنه ثم الشفاعة في العُصاة بعد إذنه فأنت ادعُ الله وأخلص له العبادة وأبشر بالشفاعة، والرسول ﷺ أُعطيها وأُعطيها غيره أيضًا، أُعطيها الأولياء والملائكة لهم شفاعة غير الشفاعة العُظمى غير الشفاعة في أهل المعاصي.

ما تقول إني أطلب من الملائكة والأولياء، وإن قلتَ هذا وقعتَ في الشرك وفي عبادة الصالحين التي أوضحتُ سابقًا أنها شرك.

وإن قلتَ: لا يجوز، هذا هو الصواب.

وهذا هو الحق مع النبي ومع غيره، طلب الشفاعة إنما هي من الله، وأنت تأخذ بالأسباب تتقي الله تؤمن به توحده سبحانه، تترك الإشراك به، تجتهد في ترك المعاصي.

ومع هذا تقول: اللهم شفِّع فيَّ نبيك، اللهم شفِّع فيَّ عبادك الصالحين، اللهم شفِّع فيَّ أفراطي، هذا كله مع الطاعة والاستقامة، لا تدل بنفسك وعملك، ولا تأمن ولا تمن على الله، ولا تعجب بعملك.

. . . .

إحذر من الغلو والركـون إلى عملك والمن بعـملك والإدلاء به، ولكن دائمًا ترى أنك مقصِّر حتى يقبل الله منك، وحتى يرحمك، وحتى يقبل منك عملك.

قال تعالى في حق أهل الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠ - ٦١].

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، أهو الرجل يسرق ويزني ويشـرب الخمر؟ قال: «لا، ولكنه الرَّجُل يصلي ويصوم ويخاف ألا يقبل منه».

هكذا المؤمنون يعملون الصالحات وهم على خوف وحذر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]

قـال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ -يعـني خائف ومشفق- أَنَّهُمْ -أي من أجل إيمانهم- إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ -وأنهم ملاقوه- (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

هذه حالة الأتقياء، مع الحذر ومع الإخـلاص لله وعدم الشرك، ومع الأعمال الصـالحة هم مع هذا قلوبـهم وجلة لا يعدُّون أنفسـهم آمنين، بل على خطر لأن الإنسان محل التقصير يخـشى من ذنب فرط منه، يخشى من أشياء لم يتب منها، يخشى من عمل ما أتم شروطه، فهو على حذر، هكذا المؤمن.

﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

ليسوا على أمان لا يخافـون، وإن كان المؤمن يعلم أن مَن مات على الإسلام فهو على خير، لكن على خطر من شر المعاصي.

. . . .

فالمؤمن من يعمل ويكدح ويجتهد ويسأل ربه ويرجو ربه أن يتقبل منه، ويؤمن بما أخبر الله به ورسوله من نجاة المؤمنين الموحِّدين، ومن هلاك الكافرين، ومن كون الشفاعة عنده لا تكون لأحد إلا بإذنه، ولا تكون لأحد إلا بما رضي الله قوله وعمله، ويؤمن بما أخبر الله به ورسوله، ويعمل على ضوء ذلك عمل المجد الخائف الوجل المشفق الذي يريد الله والدار الآخرة، ويخشى ذنوبه ويخشى سيئاته وهو على وَجَل.

هكذا أهل الإيمان، هم مع العمل الصالح ومع الجد في الطاعة ومع الحذر من السيئات هم على وَجَل يخشون الله ويراقبونه سبحانه وتعالى.

﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿ **ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ [إبراهيم: ١٤].

﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [النحل: ٥٠].

هكذا الأولياء، مع الجد في الطاعة والعمل الصالح عندهم الخوف العظيم والشفقة على الله أن يؤخذوا بسيئات اقترفوها، وعمل واجب قد فرَّطوا فيه، هذه حال أولياء الله، حالهم مع الجد والنشاط والعمل حالهم الخوف والوَجَل.

وفَّق الله الجميع.

الله يقول: ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً** ﴾ [النساء: ٨٥].

والنبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أو أحدهما يقول: «**اشفعوا تؤجروا**».

وقد شفع في بريرة وهي امرأة جارية عتيقة من تواضعه ﷺ، قد أعتقتها عائشة رضي الله عنها، كان لها زوج عبدٌ مملوكٌ فاختارت نفسها، قالت: ما بي، وكان

. . . .

يسمَّى مُغيثًا، وكان يحبها كثيرًا وكان يبكي، فلما رأى النبي ﷺ حاله وحبه لها أتاها وقال لها: «يا بريرة لو أنك قَبلتِه وصبرتِ معه» قالت: يا نبي الله تأمرني أو تشفع؟ -هي تفهم- قال: «لا، ما آمرك، لكن أشفع» قالت: لا حاجة لي فيه.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: رضى الله عن المشفوع له أليست شرط من شروط الشفاعة؟

ج: بلى.

س: إذن شفاعة النبي ﷺ لعمه وقبول الله لذلك؟

ج: هذه شفاعة خاصة، شفع له، ولكن لم يقبل منه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وذلك قبل أن يعلم، فلما علم بعد ذلك ترك الشفاعة، لما شفع قال: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْه عنك» هكذا في البخاري فلما نهى عنه كف عن ذلك.

س: أبو النبي عليه الصلاة والسلام؟

ج: أبو النبي وأُمه كانا في الجاهلية، ماتا في الجاهلية، وفي الحديث: «إن أبي وأباك في النار»، وسأل النبي ﷺ ربه أن يستغفر لأمه فلم يؤذَن له لأنها ماتت في الجاهلية على دين قومها عبادة الأوثان.

س: هل قامت عليهم الحجة؟

ج: لعله جاءهم من دين إبراهيم ما أقام عليهما الحُجة.

س: يا شيخ، ما ذكره ابن هشام في السيرة من أنه وصل إلى قبر أمه ثابت؟

ج: ثابت من أنه زارها واستأذن ربه أن يزورها، فأذِنَ له في زيارتها.

. . . .

يدل على جواز زيارة الكافر في الجاهلية زيارة للعبرة وليس للاستغفار، فأذِنَ له أن يزورها ولم يأذَن له أن يستغفر لها.

س: يا شيخ، ما ذكره من أنها أسلمت وهكذا؟

ج: لا أصل لها، كلها باطلة، الذي يقول إن أبا طالب أسلم وأن أباه وأُمه أسلما كلها روايات باطلة.

س: هل مد الأرجل في المسجد أمام المصاحف يجوز مع وجود الناس مع أنه من شروط العدالة في الشاهد عدم الوقوع في شيء من خوارم المروءة وعدم الأكل في الشارع ومد الأرجل منها بدون عذر والخروج للناس حاسر الرأس منها؟

ج: إذا دَعَت الحاجة يمد رِجله، أما إنسان ما دعت له الحاجة أن يمد رِجله بين الناس ليس من المروءة، وكذلك في بلد يحترمون الأكل في الأسواق ولا يرضون به، فالذي يمشي في الأسواق ويأكل مخالفًا لهم يدل على خِفة في العقل وقلة مبالاة.

س: مد الأرجل أمام المصاحف؟

ج: ما دام أنه ما قصد الإهانة بل لأنه محتاج أن يمد رِجله فلا بأس.

س: الوالدان اللذين جزعا على فرطهم هل يشفع فيهم يوم القيامة؟

ج: الأفراط يشفعون، والواجب عليه هو التوبة إذا كان ناح عليهم أو شق ثوبًا فإنه يتوب وتقبل الشفاعة.

س: الشفاعة الخاصة؟

ج: الشفاعة لأبي طالب وشفاعتان خاصتان، الشفاعة لأهل الموقف، والشفاعة في أهل الكبائر هذه خاصة بالنبي ﷺ.

. . . .

الشفاعة في أهل الموقف هذه خاصة يتأخر عنها جميع الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى كلهم يتأخرون هذه خاصة بمحمد ﷺ، والشفاعة الثانية في أهل الموقف في أهل الجنة في دخول الجنة، وهناك ثالثة خاصة بأبي طالب شفاعة في أن يخفف عنه، فإنه كان في عمرات من النار فشفع له فصار في ضحضاح من النار يغلي منها دماغه.

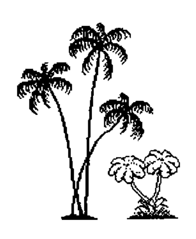
س: إذا صار مصيبة للكفار هل يجوز للمسلم يفرح؟

ج: يفرح لها، إذا كان فيها نفع للمسلمين يفرح لها، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

إذا كان شيء ينفع المسلمين، انهزم جيشهم، هداهم الله للإسلام، يفرح.

س: إذا كانت زلزلة مثلاً في بلد كافر؟

ج: يفرح، لأنها قد تكون موعظة، قد تكون فيها هداية.



فـإن قـال: أنا لا أشرك بالله شيـئًا حاشا وكلا، ولـكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنتَ تقرّ أن الله حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرَّمه الله وذكر أنه لا يغفره؟

فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرِّم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبيِّنه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟

أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟

فهذا يكذبه القرآن.

وإن قـــال: هو من قصد خشبة أو حَجَـرًا أو أبنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له ويقـولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته.

فـــقل: صدَقْتَ، وهذا هو فـعلكم عند الأحجار والأبـنية التي على القبور وغيرها.

فإذا أقر: أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: (قولك الشرك عبادة الأصنام) هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الإعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه مِن كفر مَن تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين.

فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب (١).

١ـ مناقشة عُبَّاد الأنبياء مناقشة واضحة، إذا قرأها طالب العلم اتضح له الأمر، فإنك تطالبه بما يلزمه الحُجة.

فإذا قال: أنا لا أشك بالله.

فقل: ما معنى الشرك بالله ما هو الشرك بالله؟

فإذا قال: الشرك بالله هو عبادة الأصنام.

فقل: ما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار والبنية تخلق وترزق هذا يكذبك، هم بيَّنوا أنهم مقرون بأن الله الخالق الرازق ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

أمر واضح، ثم تشرح له معنى عبادة الأصنام، وأنها التعلق بها والاستغاثة بها والنذر لها، وهذا الذي يفعلونه عند قبور الصالحين ويرجون من الملائكة والجن.

وهذا هو المطلوب أن يعترفوا بأن ما هم عليه من التعلق على الأولياء والصالحين هذا هو الشرك من عبادتهم من دون الله بالدعاء والاستغاثة والاستجارة وطلب البركة.

. . . .

وعلى كل حال تتنزل معه في كل شيء، كلما ادعى دعوة تتنزل معه تقول فسِّر هذا لي ما معنى الشرك بالله؟ ما معنى عبادة الأصنام؟ ما معنى عبادة الله؟ يبيِّن له.

إذا فسَّر ذلك بما يخالف الشرع، فقل له: كيف تدعي شيء وأنت لا تعرفه؟

وإن فسَّره بما يوافق الشرع، قل: الحمد لله هذا هو المطلوب، هذا هو الشرك، وهذا الذي أنتم عليه تعلق بالأموات والأحجار تستغيثون بها، تنذرون لها، تذبحون لها، هذا هو الذي عليه المشركون من قريش وغيرهم.

ولَما صاح بهم الحق وأنذرهم الرسول ﷺ، استنكروا وعجبوا من ذلك وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

وهم يجهلون حقيقة ما هم عليه، ويجهلون الشرك، ويجهلون العبادة التي خُلِقُوا لها، وإذا دعاهم داعي الحق صاحوا به واستنكروا دعوته لجهلهم وإعراضهم وتقليدهم لأسلافهم الضالين، لكن من أراد الله هدايته يتعقل عند الدعاء يتعقل ويتبين ثم يقابل ويوافق الحق هذا من أراد الله له الهداية.

كان الصحابة في مكة والمدينة مَن أراد الله له الهداية أقبل على الحق كالصدِّيق وعمر بعد مدة طويلة، وأبي طلحة وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهم من المهاجرين، وهكذا الأنصار الذين قدموا على النبي ﷺ، ووفدوا إليه في مكة وعلَّمهم، واستجابوا للحق وفهموا الحق ورجعوا دعاة إلى قومهم، قد بايعوا النبي ﷺ على أن يهاجر إليهم أن يبث فيهم الدين، وينشر بينهم الدعوة.

. . . .

لما أراد الله لهم الهداية تبصروا وقبلوا الحق، وصاروا دعاة للحق بعدما كانوا دعاة الباطل، هذا هو فضل الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فأنت يا عبد الله، اضرع إلى ربك وسله دائمًا أن يمنحك التوفيق، وأن يمنحك البصيرة، وأن يفتح قفل قلبك حتى ترى الحقائق على ما هي عليه، وحتى تبصر الأمور على ما هي عليه، وعليك أن تجتهد في صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار، فإن صحبة الأخيار تعينك على الحق وتبصرك بعيوبك، أما صحبة الأشرار فهي تعمي عن الحق، وتدعوا إلى الباطل، والجمود على عادات الأسلاف والأكابر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفَّق الله الجميع.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: إذا نسي شيئًا هل يقرأ سورة الفاتحة؟

ج: بدعة، إذا أشكل عليه يذكر الله، لا إله إلا الله، أو سبحان الله، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، إذا كان قصده ناسيًا يذكر الله.

أما إذا كان قصده البحث العلمي يبحث قال الله قال رسوله، ما عندك يا فلان في هذه المسألة، ما هو الدليل على كذا، ما هو الدليل على كذا.

س: يقول بعض الناس: أنا دخيلك؟

ج: إذا كان شيء يقدر عليه لا بأس، مثل ما عمل النبي ﷺ استجار بالمطعم بن عدي، لما نزل من الطائف بعد موت أبي طالب، وكان في مكة في جوار عمه أبي طالب من الشيء الذي يستطيعه من الكفرة.

. . . .

يقول: أنا دخيلك من أهل البلد الفلاني أو من جيرانك ومن أبناؤك إذا كان يستطيع.

س: بعض الناس يقول: إن الحاكمية هي أخص خصائص الألوهية؟

ج: أخصها ترك الشرك، الحاكمية من فروع الأحكام، يجب على الحَاكم أن يحكم بالشرع.

أما إذا حكَم بغير الشرع فيه تفصيل، إذا حكَم به عن عمد واستحلال كفَر، وإن حكَم لهوًى ورشوة صار معصية ومنكرًا وكفرًا أصغر، فهذه من مفردات الشرائع التابعة لتوحيد العبادة.

س: تدخل في توحيد الربوبية أو توحيد الألوهية؟

ج: تختلف، تارة تدخل في الكفر، وتارة تدخل في المعاصي، مثل مسألة الزنى ومسألة الخمر إن استحلها صار كفرًا، وإن لم يستحلها صار معصية.

س: بالنسبة للمفكرين الإسلاميين، بعضهم يطلق عليهم العلماء كيف يكون هذا؟

ج: إذا كان عندهم علِم.

س: المستشرقين؟

ج: ليسوا علماء، منهم نصارى.

س: من أسلم منهم؟

ج: إذا كان عندهم عِلم فهم علماء، وإن كان الله هداهم للإسلام يصيرون مسلمين، أما إذا كان عندهم عِلم بالكتاب والسُّنة فهم مثل غيرهم من العلماء، يُطلق عليهم علماء على قَدر عِلمهم.

. . . .

س: حكم من حكم بغير ما أنزل الله؟

ج: لو حكَم بغير ما أنزل الله لهَوَى يكون كفراً دون كفر ما لم يستحل، إما لأجل أن يثبت في مُلك أو يرضي فلان أو من أجل فلان لا يعلم أنه مخطئ وظالم يكون معصية دون الكفر ما دام لم يستحلها، فهو كفر دون كفر، فإذا استحلها كَفَر كفراً أكبر، وهكذا الزنا لو زنا بمائة امرأة ما يكفر حتى يستحل، ولو قتل مائة قتيل ولم يستحل لم يكفر، مثل قصة الذي قتل تسعة وتسعين ثم كمل المائة.

س: إذا قال شخص: أسألك بوجه فلان، هل هذا يصح؟

ج: بينه وبين الناس لا بأس، أما الله لا يسأل بوجه فلان، أما بينه وبين الناس يقول: بوجه أبيك أو بحق أبيك لا بأس ما يخالف، مثل ما كان عبد الله بن جعفر يقول لعم علي: أسألك بحق جعفر، يعني بصلة الرحم، أما الله لا، تقول: أسألك بأسمائك الحسنى بإيماني بك بمحبتي لك.

س: الذي يستحل الحكم يعتبر طاغوت؟

ج: كافر، طاغوت كافر، يسمَّى طاغوت، ولو ما استحل، لو حكم بغير ما أنزل الله ولو ما استحل.

س: من استدل على الحكم بغير ما أنزل الله أنه يختلف عن الزنا والأحكام الأخرى بالآيات والأحاديث؟

ج: ما علينا، مثل ما صرَّح الصحابة ابن عباس وغيره: كفر دون كفر، لو أن إنسانًا حكَم لأخيه أو لأُمه أو لأبيه أو لصديقه ومال في الحُكم ويعلم أنه مائل هل يكفر؟! لا يكفر.

. . . .

س: يا شيخ، على مستوى الدول؟

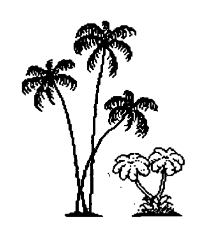
ج: ولو، لكن المعصية تعظم إذا حكم لاثنين أكبر أو إذا حكم لثلاثة في اليوم أكبر، وإذا حكم لعشرة يكون أكبر.

س: وإن زنى وإن سرق؟

ج: كذلك وإن زنى وإن سرق، أيكون كفرًا؟ لا، إنما ينافي كمال الإيمان.

س: لكن الفعل نفسه ما يدل على استحلال إقامة المحاكم والدعوى إليها؟

ج: لو زنى يحكم عليه أنه مستحل؟ ما الذي يُخرِج هذا، لو زنى أو تلوط أو شرب الخمر هل يُقال له كفرتَ؟



وسرُّ المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسِّره لي؟

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسِّرها لي؟

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده، فسِّرها لي؟.

فإن فسَّرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه؟.

وإن فسَّر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله، فإنا لم نقل: عبد القادر ابن الله ولا غيره.

فالجواب: أن نسبة الولد إلى الله كفرٌ مستقلٌ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢].

والأحد: الذي لا نظير له.

والصمد: المقصود في الحوائج.

فمن جَحَد هذا فقد كَفَر، ولو لم يجحد السورة.

وقال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ففرقٌ بين النوعين، وجعل كلاً منهما كفرًا مستقلاً.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠]

ففرق بين كفرين.

والدليل على هذا أيضًا: أن الذين كفروا بدعاء اللات -مع كونه رجلاً صالحًا- لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوها كذلك.

وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب حُكم المرتد: أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد، ويفرِّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يعبدون، ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم، والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

فإذا عرفتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا "كبير الاعتقاد" هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.

فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما الشدة فيخلصون لله الدعاء.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾

[الأنعام: ٤٠ - ٤١]

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه وهي أن المشركين -الذين قاتلهم رسول الله ﷺ- يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا جيدًا راسخًا؟ والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله: إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس،

والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي -مثل الخشب والحجر- أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به (١) .

١ـ في هذا البيان من الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- غاية الإيضاح لمن أراد الله هدايته في بيان حقيقة الشرك الذي عليه الأولون والذي عليه الآخرون، فإن الأولين شركهم واضح في حال الرخاء، يعبدون الأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار والملائكة، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا وهذا حالهم كما بيّن الله عنهم جل وعلا. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] .

فهذه حالهم في الشدائد يخصلون لله العبادة إذا اضطربت الأمواج وحلّت بهم الكروب أخلصوا لله، فإذا جاءت السعة وجاء الأمن أشركوا بالله، أما المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة.

بل يشتد شركهم عند الشدائد يلهجون بيا عبد القادر، يا شيخ أحمد البدوي عند الشدائد عند اضطراب الأمواج عكس ما عليه المشركون الأولون، هؤلاء عند الشدائد يشتد شركهم أيضًا، هؤلاء المتأخرون أيضًا.

. . . .

فإن قالوا: نحن لا نعبدهم، لا نقول إنهم بنات الله، المشركون الأولون أشركوا بأنهم قالوا: إن الملائكة بنات الله، ونحن لا نقول بنات الله، وليس شركهم بدعائهم وإنما شركهم بالبنات بقولهم إنهم بنات الله، إنهم ولد الله.

تقول له: لا، هم قالوا هذا وكفروا بهذا وهذا، هذا كفر مستقل، من نسبَ لله الولد هذا كفر مستقل، قال بنات الله أو المسيح قال: ابن الله أو العزير، هذا كفر مستقل، ودعاؤهم والاستغاثة بهم كفر مستقل، والمشركون جمعوا هذا وهذا، فإذا دعوتهم مع الله واستغثت بهم قد وقعت في الشرك، وإن لم تقل إن الملائكة بنات الله، وإن لم تقل عيسى ابن الله والعزير ابن الله، تكون صرفتَ له العبادة تستغيث به وتنذر له، هذا من الشرك.

كما قال جل وعلا: ﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨].

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** (٥) **وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ** -جميع الناس- **كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦]، سمَّى دعاءهم عبادة.

قال تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ** (١٣) **إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]، سمَّى دعاءهم شركًا.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٧].

سمَّاهم كفرة بدعاء الملائكة ودعاء الأنبياء ودعاء الصالحين، وإن لم يقولوا إنهم بنات الله.

. . . .

إثبات الولد لله كفر مستقل، ودعاء الملائكة أو الأموات أو الأولياء كفر مستقل، وسب الدِّين كفر مستقل، واستحلال ما حرَّم الله كفر مستقل كالزنا ونحوه، وإسقاط ما أوجب الله كفر مستقل، فمن يقول الصلاة غير واجبة أو الحج غير واجب مع الاستطاعة أو الزكاة غير واجبة كفر مستقل.

فإن قال لك: إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والملائكة من أولياء الله والصحابة من أولياء الله واللات من أولياء الله؟

قل: نعم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، من أسباب أعمالهم الصالحة، لكن ليس معناه أنهم يدعون مع الله.

هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم أعمالهم الصالحة، لكن ليس لك أن تدعوهم مع الله، ليس لك أن تستغيث بهم، ليس لك أن تسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكروب أعمالهم.

لهم كرامات ولهم أعمال صالحة لكن ليس لك أن تدعوهم وأن تشرك بهم بل الذي عليك أن تحبهم في الله، وأن تتأسى بهم في الخير، ولكن ليس لك أن تدعوهم من دون الله كما أنه ليس لك أن تدعو الأنبياء والصالحين لكونهم أولياء الله حق، لكن هذا لا يوجب أن يدعوا مع الله كما أن الرسل والأنبياء حق، ولكن يدعون مع الله ولا يستغاث بهم، وبهذا يتضح بطلان هذه الشبه وأن المشركين في ضلال بعيد وفي عَمًى عن الحق .

كما قال جل وعلا: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨] .

قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤] .

. . . .

قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]

ضلوا عن الهدى ولم يفهموا الحق مع بيان الله.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]

وأرسل الرسل تبشِّر وتنذر، وأنزل الكتب تبشِّر وتنذر، ولكنهم في صدود وإعراض، وبُعد عن كلام الله المنصوص والإقبال عليها وأخذ الفائدة منها والحق، بل يغلب اتباع أهواءهم وتقليد أسلافهم، نسأل الله العافية.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: الرافضة هل الاختلاف معهم في الفروع؟

ج: الاختلاف في العقيدة، يعتقدون في أهل البيت، يدعوهم مع الله، يستغيثون بهم، ينذرون لهم، مثل ما يفعل المشركون الآخرون مع اللات والعزى والملائكة والأنبياء والصالحين.

س: ما حكم هذا الشخص الذي يقول هذا الكلام؟

ج: يُبيَّن له إنه جاهل بعقيدتهم، يُوضح له ما هي عقيدتهم، عقيدتهم الغلو في آل البيت، الغلو في عَلي على الأخص، والحسن والحسين وفاطمة وبنات النبي ﷺ لا سيما الحسن والحسين وعلي، يزعمون أنهم ينفعون من استغاث بهم، يخلصونه وينجونه من عذاب الله، وأن الله جعل لهم كرامة.

وبعضهم يعتقد أن علي هو النبي وأن جبريل خان الرسالة، يسمونهم المخونة، وبعضهم يغلوا فيه أنه إذا دعوه نفعهم، وإذا استغاثوا كشف كربتهم.

. . . .

ولهذا كثير منهم يقول: يا علي. . . . يا علي، إذا قام وإذا قعد: يا حسين، يا حسن، يا فاطمة، مثل ما نقول: يا الله. . . . يا الله.

س: توجد بعض الكتب في الأسواق والمكتبات تقرر أن مذهب السلف هو تفويض المعاني والكيفية؟

ج: لا، تفويض الكيفية فقط، والذي يقول تفويض المعاني غلط، مذهب السلف تفويض الكيفية، نعرف معنى الرحمن، ونعرف معنى الرحيم، ونعرف معنى السميع، ونعرف معنى البصير، ونعرف معنى العزيز والحكيم، لكن الكيفية لا نعلمها، كيف رحمته، كيف استوى، كيف علمه، لا نعرف الكيفية، هؤلاء يسمون المفوضة، وهو مذهب باطل.

س: الذي لا يصلي يجوز إطلاق لفظ الكفر عليه حتى لا يصلى عليه إذا مات أو لا يجوز؟

ج: إذا علم أنه ما يصلي لا يُصَلَّى عليه، لأنه كافر.

س: هل يطلق عليه لفظ الكفر؟

ج: نعم، يقول الرسول ﷺ: «بين الرَّجُل والكفر ترك الصلاة».

س: عوام الشيعة والمتصوفة وغيرهم هل يطلق عليهم لفظ الكفر؟

ج: يتبعونهم إذا كانوا يعتقدون مثل عقيدتهم مثل كفار قريش.

س: إذا كان يدافع عن الروافض جهلاً بمذهبهم، وإذا بيَّنت له يقول: أنت متعصب، ولا يريد أن يسمع؟

ج: قال الشيخ: إما جهلاً وإما تعصبًا، والغالب التعصب.

س: يكفر يا شيخ بهذا التعصب؟

ج: نعم، مثل الذي يدافع عن أبي جهل وعُتبة بن أبي ربيعة.

. . . .

س: يا شيخ، ما يعرف عقائدهم ولا يريد أن يسمع؟

ج: يُبيَّن له عقيدتهم، ويُقال له: أما تعرف يدعون عليّ، ويستغيثون بأهل البيت، وينذرون لهم، هذه عقيدتهم، مثل ما تفعل قريش مع اللات والعُزى ومناة وهُبل، والأصنام التي عند الكعبة، من الدعاء والاستغاثة بهم.

س: يا شيخ، بالنسبة إذا علم أن هذا التاجر رافضي وأن بضاعته معروفة عند الناس يعني بضاعة موجودة في الأسواق هل يحذر منه على أساس أنه ما يشترون منه، ويقال للناس لا تشتروا منه هذه البضاعة حتى لا يدعمونه، أحسن الله إليكم؟

ج: هذا محل نظر، الشراء والبيع من الكفرة جائز، النبي ﷺ اشترى من اليهود ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله عليه الصلاة والسلام، لكن يُبيَّن له عقيدتهم حتى لا يتخذهم أصحاب ولا رفقاء.

أما كونه يشتري منهم إذا دعت الحاجة شرائه، فالأمر سهل لكن لا يواليهم ولا يأكل من ذبيحتهم ولا طعامهم، فذبيحتهم محرَّمة.

س: يا شيخ، يمكن أن يشتري من غيرهم؟

ج: أولى، لكن المقصود الحذر من المغالاة والمحبة أو التساهل معهم أو تمرير أعمالهم والتساهل فيها، ويُبيَّن للناس كفرهم وضلالهم، وأن هذه من أعمالهم يسبُّون الصدِّيق، ويسبُّون عمر، ويسبُّون الصحابة، ويستغيثون بأهل البيت، ويستغيثون بعلي، هذا الشرك الأكبر، سب الصحابة شرك مستقل معناه تخوينهم وأنهم ليسوا أهلاً لِيُروَى عنهم.

س: إذا نصح رافضي في العمل مثلا ولم يستجب وقال أنا ما تهمني هذه الأمور، مع رفع أمره إلى ولاة الأمر، فإذا جاءت وقت صلاة وما صلى هل يؤمر أم يترك ويعامل معاملة الكافر؟

. . . .

ج: هو يدَّعي الإسلام، فيؤمر بالصلاة، ويُبغض ويُعادى في الله ويهجر.

س: يا شيخ، الصلاة ما يناصح عليها؟

ج: بلى يؤمر بالصلاة يُقال له: صلي، ويُهجر إذا ترك الصلاة يستحق الهجر.

س: ما حكم مَن سب الدين، أحسن الله إليك؟

ج: سبُّ الدِّين كفر بالله، سبُّ الرسول، سبُّ الدِّين، سبُّ الله كفرٌ مستقلٌ، وسبُّ الصحابة جميعًا كفرٌ مستقلٌ.

س: مَن صلى صلاة الفجر قبل سُنة الفجر؟

ج: يُصلي السُّنة بعدها، وإذا كانت بعد طلوع الفجر أحسن.

س: يا شيخ، بعض النساء تصلي صلاة الفجر قبل سُنة الفجر؟

ج: تُصلي السُّنة قبل الفجر.

لكن لو نسي أو جاء والإمام قد أقام الصلاة، يُصلي ثم يُصلي السُّنة بعدها أو بعد طلوع الشمس وهو أفضل.

س: يا شيخ، والنساء أيضًا؟

ج: نعم، تُصلي السُّنة أي سُنة الفجر ثم الفريضة.

س: لو صلت يا شيخ، ما تعيد؟

ج: لا، ما تعيد، تتعلم تأتي بالسُّنة بعد ذلك.

س: لو ضاق الوقت عليهن يقدمن الفرض قبل السُّنة؟

ج: لا، تُصلي السُّنة ثم الفجر مثل ما نام النبي ﷺ عن الصلاة واستيقظوا فصلُّوا سُنة الفجر ثم الفجر.

. . . .

س: وهل في نهاية الوقت؟

ج: ولو بعد طلوع الشمس ولو عند نهاية الوقت، الرسول ﷺ قال: «مَن نام عن الصلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفَّارة لها إلا ذلك» .

س: المسافر إذا صلى قصرًا يصلي السُّنة؟

ج: الأفضل تركها.

س: يصلي الوتر؟

ج: المسافر يصلي سُنة الفجر والوِتر.

س: وصلاة الضحى؟

ج: والضحى كذلك، ويتهجد بالليل، ويصلي سُنة الفجر وتحية المسجد.

س: يا شيخ، بالنسبة لإطلاق بعض الآيات مثلاً كعنوان في الصحف والكاتب ليس عنده علم شرعي وهو يتكلم مثل أن يقال أعرض عن هذا يا يوسف، يقصد أحد اللاعبين ، فما الحُكم أحسن الله إليكم؟

ج: هذا سهل، إذا صار اسمه يوسف.

س: يقصد بها الآية، أحسن الله إليك؟

ج: هذا معناه كونه قد يستشهد ببعض الآيات، هذا سهل إذا كان في حق.

س: هو يلعب الكرة ويقول: أعرض عن هذا يا يوسف، أحسن الله إليك؟

ج: هذا أمر سهل، إذا كان اسمه يوسف.

س: ولو استخدم عبارة في القرآن، أحسن الله إليك؟

ج: إذا كان في حق فلا بأس.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم، فاصغ سمعك بجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سِحرًا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!.

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الصوم، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقرَّ بهذا كله وجحد البعث كَفَر بالإجماع، وحلَّ دمه وماله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١].

فإذا كان الله قد صرَّح في كتابه: أن مَن آمن ببعض وكَفَر ببعض؛ فهو كافر حقًّا، وأنه يستحق ما ذكر.

زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا: إن كنتَ تقرّ أن من صدَّق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة؛ أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان؛ وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفرَ ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟! سبحان الله، وما أعجب هذا الجهل!.

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤذِّنون ويصلُّون.

فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

قلنا: هذا هو المطلوب.

إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفَرَ، وحلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيًا أو نبيًا إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟

سبحان الله، ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩] (١)

١ـ الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد، يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أن لهؤلاء المشركين عُبَّاد القبور وعُبَّاد الأولياء لهم شُبهة يوردونها على مَن كفَّرهم واستحل دماءهم وأموالهم بعبادتهم غير الله، وتوجههم إلى القبور والأولياء ودعاءهم إياهم.

ويقولون: إنكم شبهتمونا بكفَّار قريش وغيرهم واستحللتم دماءنا وأموالنا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصلي ونصوم، ونؤمن بالبعث، كيف تجعلونا مثل أولئك؟

شُبهة تخفى على كثير من الناس.

فيُقال لهم: نعم، أنتم كذلك تشهدون، ولكن قد دلَّ الشرع على أن من جحد شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ كفَر ولو فعل كل شيء مما جاء به الرسول ﷺ، فإذا الإنسان أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ألا يكفر؟

سوف يقولون: نعم.

وإذا جحد الزكاة أو وجوبها، أو جحد صيام رمضان أو جحد الحج مع الاستطاعة، أو لم يؤمن بالبعث والنشور يكفر وإن كان يصلي ويصوم؟

فإذا كان هذا أمر معلوم لديكم، وأن من ترك هذه الأشياء جاحدًا لها كفر فكيف بمن جحد الشهادتين معناهما وعبد مع الله غيره، وإن كان من جعل مسيلمة نبي كمحمد يكفر عند الجميع، وقاتلهم الصحابة لذلك، فكيف بمن رفع الإنسان في رتبة الرب عز وجل إذا كان جعله في رتبة النبي يكفر لأنه جعله نبيًا ومحمد

. . . .

خاتم النبيين، فكيف الذي يرفع الشخص كشمسان ويوسف أو ابن علوان أو غيرهم إلى رتبة النبي ﷺ وهو دون رتبة الرب جل وعلا، يدعوه ويستغيث به وينذر له ويذبح له، ألا يكون أولى بالكفر ممن رفع مسيلمة إلى رتبة النبي ﷺ؟

وهكذا من عبد الملائكة أو الجن أو استغاث بهم فقد جعلهم في منزلة الله وعبدهم مع الله يكون كافرًا وإن صلى وصام وحج وإن أتى بكل الشعائر .

كما أنه لو صلى وصام وفعل كل شيء لكن أنكر نبوة محمد ﷺ أو أنكر أنه خاتم النبيين كفَر ولم تنفعه هذه العبادات التي أقرَّ بها.

وبهذا يتبين بأن مَن أتى بالأمور المشروعة وأقرَّ بها ولكن أتى بناقض بطلت تلك الأمور كلها إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام.

مَن جحد وجوب الصلاة، وجوب رمضان، جحد الحج جحد البعث والنشور جحد، كون محمد خاتم النبيين، يكفر عند الجميع.

فإذا جحد التوحيد ولم يقرّ به وأشرك مع الله في العبادة غيره فأولى وأولى أن يكون كافرًا ولا تنفعه تلك العبادات التي أقرَّ بها وفعلها، كما أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يُصلُّون ويصومون يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لكنهم صدَّقوا مسيلمة أنه نبي، فعند هذا كفروا .

وهكذا من صدَّق طليحة الأسدي بأنه نبي أو الأسود العنسي في اليمن أو المختار بن أبي عبيد الثقفي ممن ادَّعى النبوة وما أشبهه كفروا وقاتلهم المسلمون.

وبهذا يعلم أن مَن أتى بناقض من نواقض الإسلام بطلت أعماله كلها كما قال جل وعلا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾ [النساء: ١٥٠] .

. . . .

قال الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النساء: ١٥١].

لَما فرَّقوا أخبر أنهم هم الكافرون حقًا؛ لأنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

فإن قالوا: نؤمن مثلاً بمحمد ﷺ ولكن لا نؤمن بالبعث والنشور أو لا نؤمن بالجنة أو يقول: ليس هناك نار أو لا نؤمن بوجوب الصلاة أو لا نؤمن بوجوب الزكاة أو بوجوب رمضان، كل هذا ردة عن الإسلام وكُفر، ولو فعلوا ما سوى ذلك من أمور الإسلام.

الناقض الواحد يكفي ببطلان ما هم عليه.

وهكذا لو أقرُّوا بكل شيء، ولكن سَبُّوا الله أو سبُّوا الرسول، أو طعنوا في الدِّين، أو استهزئوا بالدِّين، كفروا ولم تنفعهم تلك العبادات والأعمال التي يقومون بها لما أتوا بالناقض للآية الكريمة: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

فهذا الذي حصل من الإيمان ببعض والكفر ببعض، هو الذي كفرهم وعطل أعمالهم، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

كفَّرهم بسبب استهزاءهم وإن كانوا يصلُّون ويصومون.

وهكذا قول النبي ﷺ: «**مَن بدَّل دِينه فاقتلوه**» تبديل الدين بالإتيان بناقض من نواقض الإسلام هذا تبديل الدِّين.

ولهذا عقد العلماء في جميع المذاهب باب حُكم المرتد، قالوا: وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، يعني بناقض من النواقض.

وفَّق الله الجميع.

. . . .

الأسئلة

س: يذكر العلماء في أهل البادية أن الأعرابي قد يعذر فما هي المسائل التي قد يعذر فيها صاحب البادية؟ وهل هذا خاص بزمن النبي ﷺ عند بداية الإسلام؟

ج: يُعْذَر الأعرابي وغير الأعرابي بالشيء الذي يمكن جهله مثل بعض أركان الصلاة، بعض أركان الزكاة، بعض المفطرات.

أما إذا جحد الصلاة رأسًا وقال: لا أصلي، أو جحد الصيام رأسًا وقال: لا أصوم رمضان، ما يعذر؛ لأن هذا شيء معلوم من الدِّين بالضرورة، كل مسلم يعرف هذا، أو جحد شروط الحج أو أن عَرَفَة من واجبات الحج ومن أعمال الحج لأنه قد يخفى عليه، لكن يقر بالحج وأنه فرض لأن مثل هذه قد تخفى على العامي.

س: يذكر يا شيخ -أحسن الله إليك- عن بعضهم أنه ما يعرف الجنابة، وأنه ما يغتسل منها؟

ج: يُعلَّم، العامي قد لا يفهم وخصوصًا بعض النساء، يعلَّم ولا يكفر.

س: من وصلته كتب منحرفة ليس فيها عقيدة ولا توحيد، هل يعذر بالجهل؟

ج: إذا كان بين المسلمين ما يعذر بالشرك، أما الذي قد يخفى مثل بعض واجبات الحج أو واجبات العُمرة أو واجبات الصيام أو الزكاة بعض أحكام البيع، وبعض أمور الربا، قد يعذر وتلتبس عليه الأمور.

لكن أصل الدِّين كونه يقول أن الحج غير مشروع أو الصيام غير واجب أو الزكاة غير واجبة أو الصلاة غير واجبة، هذا لا يخفى على المسلمين، هذا شيء معلوم من الدِّين بالضرورة.

. . . .

س: لو قال: لا بد أن تتوفر شروط فيمن أريد تكفيره بعينه وتنتفي الموانع؟

ج: مثل هذه الأمور الظاهرة ما يحتاج فيها شيء يكفر بمجرد وجودها؛ لأن وجودها لا يخفى على المسلمين، معلوم بالضرورة من الدِّين بخلاف الذي قد يخفى مثل شرط من شروط الصلاة، بعض الأموال التي تجب فيها الزكاة، تجب أو لا تجب، بعض شئون الحج، بعض شئون الصيام، بعض شئون المعاملات، بعض مسائل الربا.

س: بعض الصحف فيها الصور هذه الذين يستهزءون باللحى أو تقصير الثياب؟

ج: قد يخفى على بعض الناس حُكمه، قد يخفى عليه وجوب هذا الشيء ويحسب أنه سُنَّة، نسأل الله العافية.

لكن الاستهزاء حتى بالسُّنَّة يكفر، لو استهزأ بالنوافل كفر، لو استهزأ بصيام النوافل أو بحج النافلة كفر.

س: حديث الرجل الذي أنكر قدرة الله؟

ج: هذا عموم القُدرة شيء دقيق أنكر أن الله يقدر عليه إذا حُرِّق وطُحِن وذُرِّي في البحر في اليوم العاصف قد يخفى عليه هذه القُدرة الدقيقة.

س: إنكار بعض فروض الكفايات؟

ج: هذا قد يخفى.

س: يقول ابن أبي العز -رحمه الله- (ولا نُكفِّر أحدًا من أهل القبلة) ؟

ج: ما لم يَستحِل، فإذا استحلها كَفَر.

❑ ●● ❑

ويُقال أيضًا: الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار، كلهم يدَّعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلَّموا العِلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمون؟

أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟ (١).

١ـ قال المؤلف -رحمه الله- الشيخ محمد بن عبد الوهاب يُبيِّن بهذا المثال جهل الجاهلين في تكفير عُبَّاد القبور وعُبَّاد الأولياء؛ لأن جماعة في عصره كانوا يُنسبون إلى العِلم ويُنسبون إلى أنهم مسلمون، وهم مع هذا يعبدون جماعة من الكفرة كتاج ويوسف وشمسان يَغلون فيهم، ويدَّعون فيهم نوع من الإلهية، ويقولون: ما يضر، هؤلاء صالحين، والتبرك بالصالحين ودعائهم لا يضر.

بيَّن له الشيخ -رحمه الله- أن هذا الاعتقاد هو الكفر، إذا كان الاعتقاد في الجاهلية في اللات والعُزَّى ومناة والملائكة والأنبياء يكفرون هؤلاء.

كذلك استغاثتهم بيوسف وشمسان وتاج وفلان وفلان يكفرهم ولا فرق في ذلك؛ لأن صرف العبادة لغير الله شِرك بالله سواء كان المعبود صنمًا أو وَثَنًا أو وَلِيًا أو جِنِّيًا أو مَلَكًا أو غير ذلك، فالعلة والحكمة صرف العبادة لغير الله، هذه العِلة.

فصَرف العبادة لغير الله كائنًا من كان هذا هو الشرك الأكبر، كما قال جل وعلا: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

. . . .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]

فدلَّ على أن الشرك لا يُغفر، وأنه يُحبط الأعمال ويجلب على صاحبه الخراب سواء أكان المعبود مع الله جنِّيًا أو وليًا أو ملَكًا أو شمسًا أو قمرًا أو صنمًا أو شجرة أو غير ذلك للحكم عام، لأن الكل يطلق عليه عبادة غير الله، والله يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

ويقول جل وعلا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

والنبي ﷺ قال لقومه لَما بُعثَ: «قولوا لا إله إلا الله».

فإذا قالوها عن صدق هدمت الشرك وصاروا مسلمين بذلك، أما من قالها وهو يَعبد غير الله ما تنفعه كالمنافقين واليهود وغيرهم ممن يقولها وهو يعبد غير الله، هكذا الذين غلوا في عليّ وعبدوه من دون الله كانوا مشركين وهم مع هذا يقولون: لا إله إلا الله، موجودون في عهد الصحابة يقولون: لا إله إلا الله، يحسبون بذلك أنهم مسلمون.

. . . .

ولَما غلوا في عليّ ﷺ وقالوا: إنه الله، ودعوه من دون الله وجعلوه إلهًا مع الله كفروا وقالتهم عليّ ﷺ نفسه، وأجمع الصحابة جميعًا على قتالهم، بل ﷺ ما قاتلهم بالسيف بل خدَّ لهم الأخاديد وجعل لهم حُفرة في الأرض ثم ألقاهم فيها وأحرقهم بالنار من شدة غضبه عليهم ﷺ.

قال ابن عباس: لو أنه قتلهم بالسيف لكان أحب إليّ؛ لأن النار لا يُعذِّب بها إلا الله.

لكن من شدة غضب عليّ ﷺ أحرقهم بالنار لعِظَم كفرهم، حتى جعلوه الله، إنتهوا إلى أن قالوا له: أنتَ الله، يدعونه يغلون فيه يزعمون فيه أنه إله يُعبَد كما تفعل الرافضة الآن مع عليّ والحسن والحسين يدعونهم يستغيثون بهم، ينذرون لهم، هذا الشرك الأكبر، الرافضة هم ورثة هؤلاء الغُلاة.

الإمامية وغيرهم ممن يغلون في عليّ ﷺ وفي أهل البيت هم ورثة هؤلاء كما يأتي في بني عُبيد القداح.

المقصود أن الغلو في مَلَك أو نبي أو صحابي كعليّ ﷺ أو جِنِّي أو شجرة أو حَجر أو صنم كل هذا شِرك بالله إذا دعاه من دون الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له هذا هو الشرك الأكبر.

يقول المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أتظنون أن الغلو في تاج وشمسان وأمثالهم لا يضر، والغلو في عليّ يضر، هذا جهل عظيم، لو كان ما يضر في تاج ما ضر في عليّ من باب أولى، فإن عليًا أفضل من تاج وشمسان ومع هذا الغلو فيه جعل أصحابه مشركين كفار يستحقون القتل كالذين يغلون في تاج وشمسان أو غيرهما أو في عبد القادر الجيلاني أو في الحسين أو الحسن أو جعفر بن أبي طالب

. . . .

هذا من باب أولى، جعفر بن محمد من باب أولى، عليّ أفضل منهم، فالذين يغلون فيمن دونه من باب أولى يكونون كفَّار يستحقون القتل.

وهكذا من غلا في النبي ﷺ أو في الأنبياء وعبدهم من دون الله وهم أفضل من عليّ يكفرون، فمن عَبَد النبي ﷺ أو عَبد إدريس أو موسى أو عَبَد هارون أو عَبَد عيسى، هم كفَّار كالنصارى عبدوا عيسى مع الله، وصاروا من أكفر الناس، وهكذا اليهود عبَدوا العُزير وصاروا من أكفر الناس.

فالواجب على طالب العلم أن ينتبه وأن يعلم أن صَرف العبادة لغير الله شِرك بالله مطلقًا سواء كانت العبادة مصروفة لنبي أو صالح أو جِنّي أو إنسي أو شجر أو حجَر شِرك بالله لا بد أن تكون العبادة لله وحده لا شريك له.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

هكذا يقول الله جل وعلا.

ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].



ويُقال أيضًا: بنو عُبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويدَّعون الإسلام، ويُصلُّون الجُمعة والجماعة.

فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه؛ أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويُقال أيضًا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: "باب حُكم المرتد"، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعًا كثيرة كل نوع منها يُكَفِّر ويحل دم الرَّجُل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح واللعب [١].

١ـ الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، أما بعد:

هذا البحث ردٌ على عُبَّاد القبور وعُبَّاد الأولياء في زمن المؤلف كما تقدم، يقيم الحُجج عليهم لأن الإنسان متى أتى بمُكَفِّر كفَر ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

لأنهم يحتجُّون عليه يقولون: كفَّار قريش وأشباههم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولا يشهدون أن محمدًا رسول الله، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصلي ونصوم، كيف تكفِّرنا؟

. . . .

ينكرون على الشيخ محمد بن عبد الوهاب لماذا تكفِّرنا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ونصلي ونصوم، وتحتج علينا بالآيات التي نزلت في كفَّار قريش، وكفَّار قريش يعبدون الأصنام ولا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولا يشهدون أن محمدًا رسول الله، وكذَّبوه وقاتلوه، ما نحن مثلهم؟

فالمؤلف بيَّن كما تقدم بالحُجج الكثيرة التي تبيِّن كفرهم وإن قالوا نشهد أن لا إله إلا الله كما أن المنافقين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلُّون ويصومون، ومع هذا هم أكفر الناس في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم قالوا بالألسنة ما ليس في القلوب.

هم يقولون: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهم في الباطن يكذِّبون ذلك، وهكذا كفَّر المسلمون اليهود وهم يقولون: لا إله إلا الله، وكذلك الذي قالها من المشركين الذين عبدوا عليًا ﷺ أو استغاثوا بعليّ وهم عُبَّاد الشمس والقمر ونحو ذلك؛ لأنهم جعلوا آلهة مع الله، وإن صلُّوا وصاموا.

فكذلك بنو عُبيد القداح يُصلُّون ويصومون، فلمَا أظهروا الرفض والغلو في آل البيت ثم ادَّعى بعضهم أنه إله وأنه معبود يُعبد من دون الله، كفَّرهم المسلمون وقاتلوهم لإظهارهم الكفر والضلال، ولم ينفعهم شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكفرهم وضلالهم وغلوهم في آل البيت أو بدعواهم الألوهية لأن بعض رؤساءهم ادَّعى الألوهية وأنه يُعبد من دون الله اتخذ لنفسه مقام الألوهية.

فكفَّرهم المسلمون وقاتلوهم بكفرهم، ولم ينفعهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لَما أتوا بالـمُكَفِّرات.

. . . .

وهكذا الأئمة عقدوا بابًا سمُّوه (باب حُكم المرتد) في مذهب الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية، باب معروف أجمع عليه المسلمون، عملاً بقول النبي ﷺ : «مَن بدَّل دِينه فاقتلوه».

وقال معاذ ﷺ فيمن بدَّل دينه: يُقتل قضاء الله ورسوله.

لَما أسلم اليهودي ثم ارتد، فقَدِم معاذ على أبي موسى وهو موجود عندهم يستتيبونه، قال معاذ: لا ينزع حتى يُقتَل قضاء الله ورسوله -يعني بدَّل دِينه-.

هكذا من أقرَّ بالإسلام ثم أتى بِمُكَفِّر بيَّنوا -رحمهم الله- في باب حُكم المرتد أنه يَكفُر، وإن صلى وصام ولو شهد أن لا إله إلا الله.

مثلاً: إنسان يصوم ويصلي ثم يسب الله ورسوله، يكفر وإن صلى وصام.

الذي يقول: الصيام ليس واجبًا، يكفر.

الذي يقول: الزنا حلال، يكفر.

وكذلك الذي يقول: الخمر حلال، يكفر، ولو صلى وصام، ولو شهد أن لا إله إلا الله.

كمَن يطأ المصحف ويهينه، يطئه بيده أو برِجله يلطخه بالبول إهانة له.

أو يقول: نكاح الأخت حلال أو نكاح البنت حلال، يكفر، ولو شهد أن لا إله إلا الله، ولو شهد أن محمدًا رسول الله.

كذلك قالوا: إذا تعلق بغير الله، عَبَد الشمس أو القمر أو الصنم أو عَبَد عَليًا أو فاطمة أو الحسين أو عبد القادر أو البدوي أو غيره، كفَر، ولو صلى وصام ولو شهد أن لا إله إلا الله.

. . . .

المقصود: أن الإنسان إذا أتى بِمُكَفِّر بطلت أعماله لقوله ﷺ: «مَن بدَّل دينه فاقتلوه».

وقوله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ما تنفع مع الشرك أعمال، تكون هباءًا منثورًا.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

الحاصل: أن الإنسان إذا أتى بِمُكَفِّر قولي أو فعلي أو قلبي أو شك، كفَر.

حتى ولو شك فقال: أنا أعرف أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن عندي شك أن الجنة حق أو لا، أشك أن الله في السماء أو ليس في السماء، يكفر.

أو أنه فوق العرش أو ليس فوق العرش، يكفر؛ لأنه مُكذِّب لله ورسوله.

أو شك في نبوة محمد، وقال: أنا لا أدري أهو نبي أو ليس بنبي، يكفر.

أو شك في نبوة نوح أو موسى وهود وعيسى وصالح وقال: أنا أشك في نبوة هؤلاء، كفَر.

أو قال: أختي حلال يجوز لي أتزوجها أو بنتي حلال أتزوجها، كفَر.

أو عمتي أو خالتي حلال أتزوجها، كفَر.

المقصود: أنه متى أتى بِمُكَفِّر ناقض من نواقض الإسلام كفَر، وبطلت أعماله كلها، صلاته وصومه وحجُّه، كلها تبطل.

. . . .

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] .

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] .

هذا محلُ إجماع بين المسلمين، ولكن أهل الشرك لا يفقهون، فعُبَّاد القبور وعُبَّاد الأولياء في عمًى وفي ظلام، نسأل الله العافية.

هذه أشياء بيَّنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في زمانه للذين اعترضوا عليه وقالوا: ابن عبد الوهاب يُكفِّر المسلمين، وأنه جاء بدِين جديد.

هذا لجهلهم وضلالهم وقلة بصيرتهم، ما أتى بدِين، إنما أتى بما قاله الله ورسوله، وبما صار عليه الصحابة والمسلمون.

رحمه الله وجزاه الله خيراً.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: من استهزأ بشيء من شرائع الإسلام ثم تاب هل يلزمه أن ينطق بالشهادتين؟

ج: إذا تاب ورجع الحمد لله، التوبة تَجُبُّ ما قبلها، إذا تاب يكفي.

بعض الفقهاء يُجيز أن ينطق الشهادة، والشهادة ما أنكرها .

لكن إذا قال: الصلاة ليست واجبة ثم تاب، تاب الله عليه.

أو قال: الصوم ليس بواجب ثم تاب، تاب الله عليه يكفي.

س: يا شيخ، بنت أريد أن أتزوجها والبنت هذه سبق أن أختي أرضعتها ولا تدري كم أرضعتها مرة أو مرتين أخذتها من الأرض وأرضعتها حتى رويت؟

ج: إذا ما كانت تدري ما تحرِّم إلا بخمس رضعات ما تَحْرُم.

. . . .

وتركها أحسن من باب ترك الشُبهات والريب «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» .

هي ما تحرم إلا بخمس رضعات في الـحَولين أو أكثر.

س: يا شيخ، تفسير الخمس رضعات؟

ج: يمسك الثدي ويمص الثدي، ويبلع اللبن ثم يترك ويعود ثاني.

س: يا شيخ، ما تدري؟

ج: خلاص، ما عندها خبر الرضاع ما يحرم.

س: إذا لم يأت بشروط لا إله الا الله السبعة؟

ج: إذا كان يؤمن بمعناها ولو مـا عـرف الشروط، إذا كان يعـرف معناها وأن لا معبـود إلا الله ولو ما عرف الشروط. فالعامي قـد لا يعرف الشروط، المهم أن يؤمن بالله وحده وأنه المعبود بحق وما سواه باطل.

س: الذي ينفي بعض الصفات أو كلها يكفر يا شيخ؟

ج: هذا فيه تفصيل، تُقام عليه الـحُجة؛ لأنه قد يجهل بعض الصفات يُبيَّن له إذا دل عليه القرآن والسُّـنة يكفر، مثل إذا جحد الرحـمن أو الرحيم أو الحكيم أو القدوس أو الـمَلِك.

وإذا كان عامي يُبيَّن له أنه جاء به القرآن وجاءت به السُّنة.

والتأويل هذا بخلاف تأويـل مثل الأشاعرة وغيـرهم لا يكفَّرون؛ لأن التأويل فيه شُـبهة، بخلاف المعتـزلة والجهميـة فإنهم كفَّار لأنهم أنكروا الصـفات بالكلية وأنكروا الأسماء والصفات.

فالجهمية ما عندهم أسماء وصفات، نسأل الله العافية.

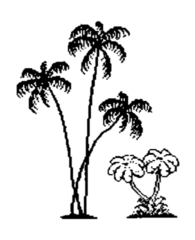
. . . .

س: فيمن يُقال له مطوع، يقول له: يا عاصي، هل هذا صحيح؟

ج: يُبيَّن له، المطوِّع معناه المطيع لله، طوَّع نفسه لله لطاعة الله، يعني عند العامة: المطوِّع دون العالِم وفوق العامي، فهي مرتبة بين العالِم والعامي.

والمطوِّع عند أهل نجد يسمُّونه مطوِّع يعني طوَّعه الله، وصار يتبع الحق والقرآن، متحرِّي للخير، هذا ليس استهزاء، عند العامة هذا لقب شرف.

فالمطوِّع عندهم فوق العامي ودون العالِم.



ويُقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]. أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه ويصلون، ويزكون، ويحجون، ويوحِّدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

فهؤلاء الذين صرَّح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون.

ثم تأمل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. وقول أناس من الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط) فحلف النبي ﷺ، أن هذا نظير قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلهًا.

ولكن للمشركين شُبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط، لم يكفروا.

فالجواب أن تقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم -بل العَالِم- قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل: -التوحيد فهمناه- أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضًا: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كُفر -وهو لا يدري- فنُبِّه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يَكْفُر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول الله ﷺ (١).

١ـ المؤلف يُبيِّن أن المسلم إذا أتى ما يوجب الردة ارتد، وأن قول الجهلة: تكفرون المسلمين وأنهم أناس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويصومون، أن هذا من أكبر الجهل.

المسلم إذا فعل ما يُوجب الردة ارتد، ولو صلى وصام كما قال جل وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤].

وهكذا الذين قالوا: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

هم مع النبي ﷺ، ومع هذا قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم.

. . . .

فالإنسان إذا أتى بالكفر وإن كان من أعبد الناس فإن الكفر ينقله من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، ولهذا أتى الأئمة جميعًا (باب حُكم المرتد) المسلم يكفر بعد إسلامه.

وهكذا بني إسرائيل لَما قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وقول بعض المسلمين بطريقهم إلى حُنين: (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، وأن هذا منهم جائز وأنه لا بأس به، فنبَّههم النبي ﷺ على أنه غلط عظيم، فلو أنهم خالفوا واتخذوا ذات أنواط لكفروا.

هكذا بنوا إسرائيل لو عبدوا الآلهة ولم ينصاعوا إلى الحق لكفروا.

فالحاصل: أن هذه القصص فيها أوضح البيان وأبين الحُجة على كفر من أتى مكفِّرًا، والذي يأتي الشيء يظنه صوابًا يظنه حق وخير ثم ينبه لا يكفر بذلك لجهله إن كان مثله يجهل ذلك فينبَّه.

وإذا كان المسلم لا يجهل ذلك فعليه التوبة والرجوع إلى الله جل وعلا والإنابة، وإن تاب تاب الله عليه.

وقد يقع في الكفر لأسباب كثيرة منها الجهل، منها الهوى، منها الطمع في الدنيا، وغير ذلك.

فإذا رجع وتاب إلى الله صحَّت التوبة، كل ذنب له توبة، أعظم الذنوب الشرك ومن تاب تاب الله عليه.

قد كان جمع كثير من صناديد قريش على الكفر ثم هداهم الله، فصاروا خير الناس وأفضل الناس بعدما أسلموا وهداهم الله جل وعلا منهم من أسلم بعد الحديبية، ومنهم من أسلم بعد الفتح بعد الكفر العظيم وقتال النبي والصحابة منهم

. . . .

أبو سفيان هو قائد الكفَّار يوم أُحُد قائد الكفَّار يوم الخندق، مع هذا أسلم وصار من خير الناس بعد ذلك رضي الله عنه، عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُمية، وغيرهم.

فالإنسان إذا تاب توبة صادقة تاب الله عليه، وإذا أتى الكفر جاهلاً بُيِّن له ولم يكفر مثلما فعل الذين قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط)، والذين قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ يحسبون أن هذا طيبًا، يحسبون أن هذا لا بأس به، فنبِّهوا فتابوا ورجعوا ولم يفعلوا ما نهاهم الله عنه.

والخلاصة: أن المسلم المصلي الصائم إذا أتى بمكفِّر لم يمنع ذلك كونه مصليًا، لم يمنع كفره كونه يصلي وينتسب إلى الإسلام يكون بالكفر الجديد مرتدًا تبطل أعماله ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

«مَن بدَّل دينه فاقتلوه».

وهذا الباب معروف (باب حُكم المرتد) وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، ولو كان من أعبد الناس ثم سب الله أو سب الرسول أو اتخذ الآلهة من دون الله يدعوهم أو يستغيث بهم أو جحد وجوب الصلاة أو جحد وجوب الزكاة أو جحد تحريم الزنا أو جحد تحريم الخمر أو ما أشبه ذلك من هذه الجزئيات، بطلت الأعمال كلها، وكفر بهذا الشيء وصارت الأعمال كلها باطلة.

فمن أتى بمكفِّر بطلت أعماله وصارت هباءً منثورًا.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

. . . .

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٥]

فالواجب على كل مسلم: أن يحذر ما نهى الله عنه من جميع المعاصي وأن يكون حذره من الشرك أشد وأعظم ولا يقول: أنا فهمتُ التوحيد، أنا فهمتُ الإسلام، لا يأمن بعض الناس يقول: التوحيد فهمناه، وهو جاهل ما فهمه.

ثم لو فهمه وتبصر فيه فليحذر ولا يأمن، ويسأل ربه الثبات، ويعتني بالتفقه في الدين، ويسأل ربه عدم الزيغ، فكم من قوم تفقهوا وتعلموا ثم زاغوا مثل ما قال ﷺ: «**أسلمتَ على ما أسلفتَ من الخير**».

فالأعمال لا تبطل إلا بالموت على الكفر، لأن الله قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [البقرة: ١٦١].

لا بد من الموت على الكفر.

والأعمال تبقى إذا أسلم وهداه الله، فالذي مات على الردة بطلت أعماله كلها، نسأل الله العافية.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾.

. . . .

الأسئلة

س: بعض الناس يقول: المعيَّن لا يكفر؟

ج: هذا من الجهل، إذا أتى بمكفِّر يُكفَّر.

س: إذا كره الشيء لكن ما تحدث؟

ج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

من كره ما شرع الله حبط عمله، إذا كره الصلاة أو كره تحريم الزنا أو تحريم الخمر كذلك.

س: مَن يكره حلق اللحى؟

ج: هذا محل نظر، هذه شُبهة لأن بعض العلماء لا يراها واجبة، لكن من ره شرع الله فيها كفر؛ لأن أقل الأحوال أنها سُنة مؤكدة.

س: يعني لو كره شيء من أركان الإسلام؟

ج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

س: من اعتاد على بعض الكلمات مثل الذي يقول: ما صدقت على الله، أو كلمة العجائز: الكسلان يعلم الغيب. هذه الكلمات يا شيخ؟

ج: ما صدقت على الله، هذا أمر سهل وهذه العادة عند بعض العامية معناه: الشيء الذي ما يتيسر إلا إذا تعبت عليه، أي أني ما صدقت أني أحصل هذا الشيء.

أما أن فلان يعلم الغيب، هذا كفر.

مَن قال إن أحدًا يعلم الغيب فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين.

. . . .

﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]

ما أحد يعلم الغيب إلا الله، الرسل ما يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله.

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]

س: الجهمية هل هم مرجئة من كل وجه أم لا؟

ج: الجهمية يرون أن العبد مجبور على أفعاله، يُسمُّون مُجبِرة.

يرون العبد مجبور ما له اختيار، ما عندهم نفي الأسماء والصفات، نعوذ بالله، وهم كفَّار كفراً أكبر.

س: يشبهون المرجئة في شيء؟

ج: قد يُقال أنهم يُشبِّهون، لأنهم يقولون مجبور ما عليه حساب، ويلزم على قولهم أن الله ظالم له.

س: يشبهون المرجئة بقولهم: أن الإيمان تصديق بالقلب؟

ج: عندهم الإيمان معرفة.



وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: "لا إله إلا الله"، وقال: «أقَتَلتَه بعدما قال لا إله إلا الله؟»، وكذلك قوله: «أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله».

وأحاديث أخرى في الكف عمَّن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يَكْفُر، ولا يُقْتَل ولو فعل ما فعل

فيُقال لهؤلاء المشركين الجهَّال: معلومٌ أن رسول الله ﷺ قاتَلَ اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله. وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدَّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرُّون أن من أنكر البعث كَفَر وقُتِلَ ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كَفَر وقُتِل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟.

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث:

فأما حديث أسامة، فإنه قَتَل رجلاً ادَّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِل؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو كان لا يُقْتَل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن مَن أظهر التوحيد والإسلام وَجَب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ قال: «أقتلتَه بعدما قال لا إله إلا الله»، وقال: «أُمِرتُ أن أُقَاتِل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ لئن أدركتُهم لأقتلنهم قتل عاد»، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحًا، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لِما ظهر منهم من مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] وكان الرجل كاذبًا عليهم.

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه (١).

١ـ الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وآله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

. . . .

فهذه المسألة مسألة مهمة عظيمة أوضحها المؤلف -رحمه الله-، وهي تعلق المشركين بالأحاديث المطلقة العامة في الأمر بالكف عمن قال لا إله إلا الله، وظنوا أن من قالها لا يكفر ولو فعل ما فعل.

وبعضهم ظن أنه يكفر بأشياء دون الشرك لجهلهم بقوله ﷺ لأسامة: **«أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله»**، وقوله: **«أُمِرتُ أن أقاتِل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»** دليلٌ على ما درج عليه المؤلف والصحابة وغيرهم كقتال المرتدِّين.

والمعنى من ذاك أن من أظهر التوحيد والإسلام كف عنه حتى يعلم منه ما يخالف ذلك.

والذي قتله أسامة ظن أنه قالها تعوذًا وخوفًا من السلاح فقتله، فخطَّأه النبي ﷺ وبيَّن له أن الواجب الكف عنه حتى ينظر في أمره.

وهكذا كل إنسان لا يقول لا إله إلا الله من الكفَّار الذين يأبون أن يقولوها مثل كفَّار قريش لَما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥].

وقالوا: ﴿**أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ [الصافات: ٣٦].

وقال جل وعلا: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

فالذين يجحدون لا إله إلا الله إذا قالوها يكف عنهم حتى ينظر في أمرهم، فإن استقاموا ووحَّدوا الله وأخلصوا له العبادة والتزموا الشرع وعُلِم عنهم الإسلام تم الكف عنهم.

. . . .

أما من قالها وهو لا يؤمن بمعناها ولا يعتقد معناها يقول: لا إله إلا الله، وهو يعبد غير الله كما تفعل المنافقين، وكما فعل أصحاب مسيلمة يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ويقولون: مسيلمة نبي، قد كذَّبوا قوله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

كيف يكون مسيلمة نبي ومحمد خاتم الأنبياء؟

ولهذا قاتلهم الصحابة؛ لأنهم زعموا في مسيلمة أنه نبي، وهذا كُفر بالإجماع ولو قالوا لا إله إلا الله.

وهكذا الذين حرَّقهم عليّ بن أبي طالب زعموا أنه إله، وأنه هو الله، فحرَّقهم وهم يقولون لا إله إلا الله، يقولون بألسنتهم ما لا يطابق أفعالهم.

وهكذا المنافقون يقولون لا إله إلا الله، وهم يعتقدون بطلان الدِّين، وأنه لا حقيقة له، ويقولونها رياءًا وتعوذًا، ومع هذا قال الله في حقهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

ولم ينفعهم قول لا إله إلا الله لأنهم قالوها بالألسن وكفروا بالمعنى.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ﴾

[النساء: ١٤٢ – ١٤٣]

ما عندهم إيمان.

فهكذا كل إنسان يقول لا إله إلا الله، ويشهد أن لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله، أو ينكر البعث والنشور، أو ينكر وجوب الصلاة، ويستحل الزنا أو يستحل الخمر، يكفُر بذلك عند جميع المسلمين ولو قالو لا إله إلا الله.

. . . .

ولهـذا عقد العـلماء في كل مـذهب (باب حُكم المرتد) هو الذي يكفر بـعد إسلامه الذي يأتي بناقض من نواقض الإسلام فيكفر بذلك وإن قال لا إله إلا الله.

فلو كان يقـول لا إله إلا الله ويصلي ويصوم ولكن يقول الزنا حـلال مَن شاء زنى فلا بأس، كفَر عند الجـميع جميع أهل العلم، أو قال إن الخمـر حلال، كفَر عند الجميع جميع أهل العلم.

فالواجب اليقظة والانتباه والتبصر والفقه في الدِّين.

المسلم يرتد إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام ولو أتى بالبقية، فإذا كان يعبد البدوي أو يعبد النبي ﷺ أو يعبد زينب أو يعبـد الحسن أو يعبد الحسين أو يعبد علي، يعبدهم ويستغيث بهم، كفَر ولـم ينفعه قول لا إله إلا الله.

وهكذا إذا جعل الملائكة أو الجن واستغاث بهم، كفَر ولو قال لا إله إلا الله.

وهكذا إذا دعا الأشجـار أو الأحجار أو الأصنام كما تفـعل قريش مع العُزَّى واللات مناة.

الواجب على المسلم أن يتبصر، وأن يكون على بيِّنة في دينه، فالمشرك مشرك وإن قال لا إله إلا الله، والكافر كافـر وإن قال لا إله إلا الله، حتى يؤمن بمعناها، وحتى يؤدي حقها.

كما قال ﷺ: «**أُمِرتُ أن أُقاتِل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم إلا بحـقها**»، وفي اللفظ الآخر من حـديث ابن عمر: «**إلا بحق الإسـلام وحسابهم على الله**».

فلا بد من حـق الإسلام وحق لا إله إلا الله وهو الالتـزام بدِين الله، والحذر فيما يسبب الشرك أو يسبب تكذيب الله ورسوله.

. . . .

فلو أن إنسانًا يفعل كل عبادة ويعتقد كل ما أوجب الله ولكن يقول: ما فيه بعث ولا نشور، كفَر عند الجميع.

ولو أنه يصلي ويصوم ويظن أنه ليس بمشرك، ولو أنه أعبد الناس إذا قال أنه لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار، كفَر عند الجميع.

وهكذا لو كان يؤمن بكل شيء ولكن يقول: الزنا حلال، أو الخمر حلال، أو الصلاة ما هي بواجبة، أو صوم رمضان ليس واجبًا، أو الحج ليس واجبًا مع الاستطاعة، كفَر عند الجميع.

فالواجب التنبه لهذه الأمور، وأن يكون طالب العِلم على بصيرة، وألا يغتر بقول هؤلاء المرتدِّين هؤلاء الجهلة الضالين، الذين يعبدون القبور، ويستغيثون بالأموات ويقولون نحن مسلمون.

نسأل الله العافية، ورزقنا الله التوفيق والهداية.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: ما حُكم من قال في دعائه: يا حبيبي يريد الله، وقول: يا مُسهِّل، وقول: يا هادي، يا دليل؟

ج: ما فيها شيء، هو أحب حبيب سبحانه وتعالى.

لكن ادعوه بأسمائه: يا الله يا رحمن؛ لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ما قال: ادعوني بحبيبي، ادعوني بأسمائي وصفاتي، يا الله يا رحمن يا رحيم يا ربي، يا ذا الجلال والإكرام، وإن كان هو أحب حبيب، لكن يُدعَى بصفاته التي بيَّنها سبحانه وتعالى.

. . . .

س: ما حكم من سأل بالله لأمر ولم يجب؟ وما حكم من سئل بالله ولم يفعل؟

ج: النبي ﷺ قال: «مَن سأل بالله فأعطوه»، إلا إذا كان ما له حق فيما يسأل، ولو قال: أسألك بالله، ما يُعطَى. لكن إذا سأل شيء له فيه شُبُهة سأل من بيت المال أو سأل أن يُعطى لأنه فقير، يُعطى ما تيسَّر «مَن سأل بالله فأعطوه».

ولكن لا ينبغي أن يسأل بالله، لا يشدد على الناس، ولهذا قال الـمَلَك الذي جاء إلى الأبرص والأعمى والأقرع: (أسألك بالله الذي أعطاك كذا وكذا) سأل بالله.

المقصود: أنه إذا كان في شيء مهم وسأل بالله، يُعطَى إذا كان لحق.

أما إذا لم يكن له حق ما يُعطَى ولو سأل بالله، فلو قال: أسألكم بالله أن تعطوني من الزكاة، وليس من أهلها، لم يُعط من الزكاة لأنه ليس من أهلها.

أو قال: أسألكم بالله أن تعطوني أموالكم والذي عندكم كله ولا تجعلون لكم شيء، ما يُعطى.

س: ما حُكم الذي يقول: لا إله إلا الله، من الكفرة لأنه يخشى أن يضر في كسبه، هل يضر أو لا؟

ج: إذا كان لا يقر بالتوحيد وقال: لا إله إلا الله، يكف عنه حتى ينظر في أمره مثل ما أمر النبي ﷺ أسامة.

أما إذا كان يتكلم في التوحيد لكن ما كف عن الشرك كلامه لا ينفع لا بد أن يترك الشرك ويتوب منه.

فعُبَّاد البدوي، وعُبَّاد الحسين، أو عُبَّاد علي أو عُبَّاد اللات أو عُبَّاد الكواكب أو عُبَّاد الأصنام إذا قالوها -أي لا إله إلا الله- ما يكف عنهم حتى يتوبوا من

. . . .

عملهم، حتى يتوبوا من شركهم وكفرهم، وهكذا من سب الله أو سب الرسول وهو يقول لا إله إلا الله، ما يكف عنه حتى يتوب من هذا.

س: ما الحكم إذا رأينا كافرًا يفعل فعل الرجل الذي مع الصحابي وأراد أن ينجوا فقال: لا إله إلا الله، والله أعلم بنيَّته؟

ج: ما يُقتل إذا قالها، وهو لم يقلها قبل سابق حتى يثبت في أمره، ولو كان يظن أنه قالها تعوذًا، مثلما أنكر النبي ﷺ على أسامة -لَما قال أسامة للنبي ﷺ: إنه قالها تعوذًا- قال له: «أشققتَ عن قلبه»، فإذا كان ما يقولها أصلاً ثم قالها يمسك عنه حتى ينظر في أمره.

س: حكم من قال لصاحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنت فضولي، هل هذا يكون كفرًا؟

ج: لا يكون كفرًا، لكن يُبيَّن له أن هذا غلط وكلام ليس بصحيح، وأنه ليس بفضولي، وأن هذا جهل، ويُبيَّن له لأنه قد يعتقد أنه مُصيب.

س: يا شيخ، جملة من المعاصرين ذكروا أن الكافر من قال الكفر أو عمل بالكفر، فلا يكفر حتى تُقام عليه الحجة ودرجوا عُبَّاد القبور في هذا؟

ج: هذا من جهلهم، عُبَّاد القبور كفَّار، واليهود كفَّار، والنصارى كفَّار، ولكن عند القتل يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا.

س: يا شيخ، مسألة قيام الحجة؟

ج: بلغهم القرآن، هذا بلاغ للناس، القرآن بلغهم وبين المسلمين، ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: ٦٧].

. . . .

قـد بلَّغ الرسـول، وجـاء القرآن، وهم بين أيـدينا يسـمعـونه في الإذاعـات ويسمعون في غيرها، ولا يبالون ولا يلتفتون، وإذا جاء أحد ينذرهم ينهاهم آذوه، نسأل الله العافية.

س: حديث الرجل الذي قال: إذا مِتُّ فحرِّقوني؟

ج: هذا جهل بعض السُّنن من الأمور الخفية من كـمال القُدرة، جهلها فعُذِر، حمله على ذلك خوف الله، وجهل تمام القُدرة فقال لأهله ما قال.

س: سجود معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم؟

ج: هذا إن صح في صحته نظر، لكن معاذ لو صح ظن أن هذا إذا جاز لكبار قادة المشركين هناك فالنبي أفضل، هذا له شُبهة في أول الإسلام، لكن استقر الدِّين وعُرف أن السجود لله، وإذا كان هذا أشكل على مـعاذ في أول الأمر لكن بعده ما يشكل على أحد.

س: من أدلتهم حديث الليثيين لما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سيعطيهم فقام فخطب الناس فقال: أرضيتم؟ فقالوا: لا، قالوا هذا تكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام وهذا كفر؟

ج: ما كذَّبوه، يسألهم يقول لهم: أرضيتم بهذا أم لا؟

مثل الذي أهدى له الناقـة فأعطاه، قال: «أرضـيتَ؟» قال: لا، فـزاده حتى رضي، قـال: «أرضـيتَ؟» قال: نعم، هذا ليس بتـكذيب، الذي يقول هذا من الجهل.

س: يا شيخ، هذه كتابات وأشرطة موجودة في السوق لبعض المعاصرين؟

ج: هذا غلط.

. . . .

س: بعض الناس إذا نصح قال: ما هداني الله عز وجل؟

ج: نقول له: اسأل ربك الهداية.

والله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

س: بعض أئمة الطرق المنحرفة الذي يقول: وصلنا إلى مرتبة اليقين، فلا تلزمنا العبادات؟

ج: هذا يكفر عند أهل العلم بإجماع أهل العلم.

مَن قال: تسقط عني العبادات، كفَر بإجماع أهل العلم، إلا إذا كان جُنَّ أصابه جنون.



ولهم شبهة أخرى: وهي ما ذكره النبي ﷺ : أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ .

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

والجواب أن نقول: سبحان مَن طَبَعَ على قلوب أعدائه؛ فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥].

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيرها في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك، فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف.

وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رَجُل صالح حي يجالسك، ويسمع كلامك، فتقول له: ادع الله لي. كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ ؟!! (١).

١ـ المشركون لهم شُبه كثيرة، يشبهون بها على الناس؛ لقلة علمهم وغلبة الجهل عليهم واعتيادهم للباطل.

. . . .

فإن الإنسان إذا اعتاد الباطل صعب عليه التخلص منه، وصار يتطلب الشُّبه التي تبرر عمله ويتعلق بخيط العنكبوت .

ويقولون: لماذا تنكر علينا دعوة الأموات والاستغاثة بالأموات، والناس يوم القيامة يستغيثون بآدم وبنوح وإبراهيم وبموسى وعيسى حتى يشفعوا لهم عند الله، هذا يدل على جواز الاستغاثة بالمخلوقين؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عن الناس يوم القيامة أنهم يستغيثون بآدم وبنوح وبإبراهيم وبموسى حتى يشفعوا لهم؟

فيُقال: يقول المؤلف -رحمه الله-: سبحان من طبَع على قلوب أعدائه، الاستغاثة بالحي غير الاستغاثة بالميت، والاستغاثة بالحاضر غير الاستغاثة بالغائب، فرقٌ بين الجميع.

الناس يوم القيامة والمؤمنون يستغيثون بآدم وبنوح وإبراهيم في أمور يستطيعونها، الشفاعة لهم في أن يريحهم الله من ذل الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، تقول لإنسان: اشفع لي عند فلان بكذا، أغثني من كذا، وهو يقدر. سلِّفني كذا، أقرضني كذا، هذا لا بأس.

وكما يقع في الحرب، أصحاب الحرب يتعاونون يقول له: عندك الجهة الفلانية احفظها، عندك الجهة الفلانية، والآخر يقاتل في الجهة الأخرى، يتعاونون ويتواصون بحرب الأعداء، وهذا في معنى قصة موسى لما استغاثه الذي من شيعته استغاث موسى على الإسرائيلي استغاثه على القبطي، فأغاثه موسى فوكزه فقضى عليه؛ لأن موسى حاضر يستطيع.

فإذا قلت لزيد أو عمرو: أغثني من خادمك أو من ولدك، أكفني من شره أو من هذا السبع، يعني معه سلاح يرميه به أو يضربه بشيء.

. . . .

هذا لا بأس به، ما فيه شيء، هذا شيء حاضر، أو بمكاتبة إنسان غائب يكاتبه يكتب له كتاب يقول له: أرسل لي كذا، أقرضني كذا، بعني كذا، بالمكاتبة أو بالهاتف، ما فيه شيء .

المنكر كونه يأتي إلى ميت أو جبل أو شجر أو حجر يستغيث به، هذا هو الشرك الذي فعله المشركون، أو بالغياب كالملائكة والجن يستغيث بهم، هذا هو الشرك الذي فعله المشركون، وأنكره الرسل، وأنكرته الأنبياء، وأنكره الدُّعاة إلى الخير.

أما الاستغاثة بحي حاضر قادر أو بغائب بالمكاتبة أو بالوصية لإنسان يتصل به يقول له كذا وكذا أو بالهواتف كما يحصل الآن، الهاتف هذا ممكن ليس بغائب، هذا حاضر يكلمه بالهاتف مثل ما يكلم الحاضر، أو يكتب له كتاب يقول: سلفني كذا أو أقرضني كذا أو اشتري لي كذا، لا بأس، فرقٌ بين هذا وهذا.

أما كونه يأتي الميت يقول: انصرني، أنا في حسبك، أنا في جوارك، هذا شرك المشركين، أو يسجد له أو يذبح له، أو يستغيث به أو الغائب أو الجن يفعلون كذا أو يا جبريل أغثني، يا إسرافيل أغثني، غائبون عنا لا يحضرهم ولا يشاهدهم ولا يسمعون كلامه.

هذا هو الذي فعله المشركون، هذا هو الشرك الأكبر، وهكذا مع الشجر أو الصنم هذا أقبح وأقبح، أو مع النجوم أقبح وأقبح.

نسأل الله العافية، وفَّق الله الجميع.

❏●●❏

. . . .

الأسئلة

س: لو رأى مثلاً شخص سوف يذهب إلى الجهاد في سبيل الله فقل له: إن استشهدتَ في سبيل الله، اشفع لي؟

ج: هذا يشفع بعد الموت، هذا محله بعد البعث والنشور يطلب منه أن يشفع منه، وهو حي يوصيه وهو حي الآن، لا بأس معناه إذا بُعِثَ يوم القيامة.

س: يا شيخ، ما فيها شيء؟

ج: ما فيها شيء.

س: ما هو ضابط الدعاء الإخوة لإخوانه أن يدعو له، هل كل أخ أقول له: ادع لي ولا تنسنا من دعاءك يا أخي؟

ج: خواص الناس، أمَّا كل أحد، لا.

تصل بعض إخوانك أو بعض خواص إخوانك في بعض الأحيان، لا بأس حتى لا تؤذيهم. ما كان النبي ﷺ يسأل كل أحد، إنما يُروَى أنه قال لعمر: «لا تنسنا من دعائك»، وأوصانا بأويس القرني لأنه كان بارًا بأُمه، مَن يلقه منكم فليطلب أن يستغفر له.

ما قال كل أحد، بعض الناس، كل من جاء له: ادع لي، ادع لي.

ينبغي للإنسان ألا يفعل هذا، بعض الأحيان حتى لا يؤذي إخوانه.

س: يا شيخ، المشركون في شركهم وصفهم الله في كتابه أنهم يتبعون المتشابه، وكثير من العلماء الآن يطلق أنه لا يكفر حتى تزال الشُّبه، كيف نفصل في هذه المسألة؟

ج: ما فيه الشُّبهة تُزال عنه الشُّبهة، والذي ليس فيه شُبهة الحمد لله.

. . . .

إذا تكلم بالهاتف ليس فيه شُبهــة والحمد لله، أو كلم بالوكالة أو المكاتبة ليس فيه شُبهة.

لكن إذا كلم الميت، هذا ليس فيــه شُبهة، هذا شــرك المشركين، فكلام الميت والاستغــاثة ليس فيه شُبــهة؟! هذا صريح شرك المشركــين، يدعون اللات والعُزَّى ومناة وأشباههم، ويدعون الملائكة ويدعون الجن، هذا شركهم.

والذي عنده شُبهة تُزال عنه الشُّبهة.

دعاء الجن والملائكة الغائبين ودعاء الأموات غير دعاء الحي الحاضر.

دعاء الحي الحاضــر أجمع المسلمون على أنه لا بأس به، مـثل أن تقول للحي الحاضــر: اشفع لي، ادع الله لي، جــزاك الله خيــرًا سلِّفني كذا، بِعني كــذا، بلِّغ سلامي لفلان.

س: الأجسام والأبدان التي في الموقف يوم القيامة هي نفس الأبدان التي في الدنيا أم أن الله يعطيها قوة؟

ج: هي هي نفس الأبدان، لكــن بعضــهـا على خَلق آدم ســتــون ذراعًــا إلى السماء.

س: تقصد قوة التحمل يا شيخ؟

ج: أحوالهم غير أحــوالهم في الدنيا، أحوالهم في الجنة أبناء ثلاث وثلاثين، الأطفال الشيوخ تتغير أحوالهم يعطيهم الله أجسام غير الأجسام، ونور غير النور، وأهل النار بعضهم كذا.

س: هذه يا شيخ، في الجنة صورة آدم؟

ج: ستين ذراعًا في الجنة.

. . . .

س: هو يسأل عن الموقف؟

ج: الله أعلم، من الممكن أن يكون كـذلك حين أخرجـهم الله من قبـورهم، ليس هذا بعيدًا وهم حُفاة عُـراة غُرلاً، والطول طولهم، وعرضهم الله أعلم، جاء في الحديث أنهم على طول أبيهم آدم ستين ذراعًا إلى السماء.

س: الضابط في الشبهة المعتبرة والشبهة غير المعتبرة؟

ج: الشيء الدقيق الذي قد يخفى يُبيَّن، يُبيَّن له الشيء الذي قد يخفى، كمن ظن أن سؤال الغائب أنه ما هو بشرك، يُقال له: الغائب على قسمين:

- الغائب إذا سألت بالمكاتبة أو بالهاتف ليس بشرك.

- إذا سألت أنك تعتقد أنه يسـمع كلامك وهو غائب وأنه ينفعك هذا الشرك هو الأكبر الذي فعله المشركون مع الملائكة ومع معبوداتهم من دون الله.

س: الخفاء والوضوح ما يتغير باختلاف الأزمنة والأمكنة؟

ج: لا يتغيـر، كلما عظم الجهل زاد الخطب، كلما اشتـدت غربة الإسلام زاد الخطب، لكن ما دام بين المسلمين يسمع القرآن ويسمع السُّنة قد بُلِّغ.

قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

القرآن بلاغٌ.

ويقول سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

هو بلغه الـقرآن، وتقول له: تعـالى نفعل كـذا، يخاصمـك ويضاربك، ولا يعطيك ما يقبل الفائدة، أهل القبور الآن من الصعب التفاهم معهم في التوحيد إلا بشدة، ما يرضون لأحد أن يتفاهم معهم، يرون أنهم على حق -نسأل الله العافية- إلا من رحم الله.

. . . .

س: الكلام على التوحيد فقط أما في المسائل المكفرة من البدع مثل الجهمية؟

ج: المسائل التي لا تكفر أمرها سهل، المقصود المسائل المكفرة.

س: يعمم الحكم على العوام أم هناك تفصيل؟

ج: عوامهم معهم، إذا كانوا معتقدين دينهم معهم، مثل عوام اليهود والنصارى، فعوام اليهود والنصارى منهم.

أما الشيء الذي قد يخفى مثل عموم القدرة مثل قصة الذي أمر أهله أن يحرقوه، وظن أنه إذا حُرِّق وذُرِّي في اليوم الصائف أنه يفوت وأنه يسلم يفوته الله، فأمر الله الأرض والبحر أن يجمع ما فيه ثم قال: (ما حملك على هذا؟ قال: خوفك يا رب، فتجاوز الله عنه).

س: الذين لم تصل إليهم الدعوة الآن؟

ج: ليسوا مسلمين ولا كفَّار، أمرهم إلى الله، أهل الفترة أمرهم إلى الله ليسوا مسلمين ولا كفَّار، أمرهم إلى الله.

س: من كان بين المسلمين ويسمع القرآن هل يتصور يوم القيامة أنه يمتحن في الموقف كأهل الفترات؟

ج: الذي ما بلغه الإسلام يمتحن، والذي بلغه الإسلام لا يمتحن، قد قامت عليه الحُجة.

س: إذا كان بين المسلمين؟

ج: الأمر إلى الله، عندنا قامت عليه الحجة، وأمره إلى الله، والله أعلم به، وعندنا من قامت عليه الحجة انتهى، والحجة بالقرآن والسُّنة.

. . . .

س: هل يوجد من يموت ولم تبلغه الدعوة؟

ج: قد يوجد في بعض إفريقيا وغيرها.

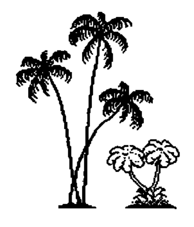
س: يا شيخ، قول الرسول ﷺ ما تشرق الشمس ولا تغرب إلا طرق الإسلام بيته بذل ذليل أو بعز عزيز؟

ج: هذا يحتاج إلى صحته، وإن صح ما يلزم منه الأفراد يلزم منه الجهات، ما يلزم منه الأفراد وأن كل فرد قامت عليه الـحُجة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

إذا ما وصلك خبر الرسول ﷺ وخبر القرآن ما قامت عليك الحجة، لكن تنصحهم وتعلمهم، فإذا تابوا وهداهم الله فالحمد لله، وإن أبوا فهم كفَّار.

ويكون هذا بالدعوة والتوجيه، وإذا أصروا يُقتَلوا قتلاً عند ولي الأمر، إذا كان ولي أمر مسلم وهم بين يديه يدعوهم إلى الله، فإذا أقروا بالحق وتركوا دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وإلا قُتِلوا.



ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: ألكَ حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا. قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركًا لم يعرضها على إبراهيم؟.

فالجواب: أن هذا من جنس الشُبهة الأولى؛ فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه.

فإنه كما قال تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥]، فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجًا فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا مِنَّة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟!.

ولنختم الكلام -إن شاء الله تعالى- بمسألة عظيمة مهمة جدًا تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها.

فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرَّجُل مسلمًا.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به، فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما.

وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [التوبة: ٩]. وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة وطويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس:

-ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة لأحد.

-وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه فإذا هو لا يعرفه، **ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:**

أولهما: قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]. فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا مَن أُكْرِه مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفًا، أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا الـمُكْرَه.

فالآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا الـمُكْرَه.

ومعلومٌ أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يُكْرَه عليها أحد.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]. فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدِّين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا فآثره على الدِّين، والله سبحانه وتعالى أعلم (١).

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

١- بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلِّ وسلم على رسول الله، يقول المؤلف -رحمه الله- الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، المولود سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة النبوية، والمتوفى سنة ست و مائتين وألف من الهجرة النبوية، في الدرعية -رحمه الله-، يقول:

. . . .

لهم شُبهة أخرى -أي المشركين- لهم شبهة غير الشُّبه السابقة التي سبق الجواب عنها، وهي أنهم يقولون: إن إبراهيم لَما ألقي في النار جاء في التاريخ أنه اعترضه جبرائيل فقال له: هل لك حاجة؟ فقال: فأما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى.

قالوا: كون جبرائيل يعرض على إبراهيم الحاجة يدل على أنه يجوز الاستعانة بغير الله، والاستغاثة بغير الله؛ لأن جبريل عرضها، ولو كان ممنوعَ ما عرضها جبرائيل؟

فيقال لهؤلاء: هذا من أعظم الجهل، جبرائيل مَلَك عظيم أعطاه الله من القوة ما أعطاه، فهو عرض عليه أن يمده وأن يسعفه بشيء يقدر عليه جبرائيل، فأجاب إبراهيم بأنه ليس له حاجة إليه إنما الحاجة إلى الله سبحانه وتعالى.

فجبرائيل لو أمره الله أن يأخذ إبراهيم إلي جهة السماء أو إلى مكان بعيد أو يطفئ النار استطاع ذلك لأنه هو القوي الأمين عليه الصلاة والسلام، ويقول الله في شدته -يعني جبرائيل-: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥ - ٦]

فهذا مثل إنسان فقير يعرض عليه إنسان عنده مال كثير فيقول: لك حاجة أعطيك دراهم أعطيك طعام؟ فيقول الفقير: ما لي حاجة ليس لي عندك حاجة، إن حاجتي أطلبها من جهة أخرى، هل في هذا شيء؟ ليس في هذا شيء.

إنما الشرك الذي بيَّن القرآن أنه شرك كونه يأتي إلى الأموات أو إلى الأشجار والأحجار ويستغيث بها وينذر لها أو إلى النجوم أو الأصنام أو غير هذا، يطلب المدد والغوث من ميت أو صنم أو حجر أو جني غائب بغير أسباب حسيَّة هذا الذي بيَّن القرآن أنه شرك، وأن الواجب على المؤمن أن يحذر ذلك.

ولهذا قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

. . . .

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

والله سبحانه وتعالى حذَّر مما يفعله المشركون مع أصنامهم وأوثانهم، وأخبر أن الأصنام والأوثان لا تملك شيئًا، وأن الـمُلك لله جل وعلا وحده هو المتصرِّف في الكون.

ثم ختم الكلام -رحمه الله- بخاتمة عظيمة، وهي أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، لا بد أن يؤمن بالله وأنه يستحق العبادة، ولا بد أن يتيقن بهذا وأن يعمل بهذا، ويخص الله بالعبادة.

فلو أشرك بالله وقال: أنا مؤمن بالتوحيد الحق وأن الله مستحق للعبادة، لكن ما أود أن أخالف جماعتي، أنا أفعل مثل ما يفعل جماعتي، فلا أحب أن أخالفهم أنا أعبد معهم القبور، وأعبد معهم الأصنام، وأذبح معهم لغير الله، وإن كنتُ أعلم أن هذا باطل، ولكن مجاملة لجماعتي وعدم المخالفة لجماعتي كما فعل كفَّار قريش وغيرهم ممن يعرف الحق. كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقال في بني إسرائيل الكافرين: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقال في حق فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولكنه الجحد والتكبر.

وهكذا لو اعتقد بقلبه أن الله حق وأن النبي حق وأن الساعة حق، ولكن قال بلسانه مجاملة: لا مانع من دعاء الأموات، لا مانع من الاستعانة بالأموات، مجاملة لقومه وإلا هو يعتقد خلاف ذلك، أشرك بذلك، لأنه أجاز ما حرَّم الله

. . . .

وهو يعلم أنه شرك، أو عمل به وقال: أنا ما أعتقد لكن أعمل به مجاملة، فإذا سجد لغير الله دعا معهم غير الله، أشرك بالله، أو قال بلسانه التوحيد ولكن بقلبه جحد كالمنافقين، يكفر ذلك ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قال عنهم الرب: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

ولو قال: إن قلوبنا طيبة وسليمة، ما دام فعلوا الشرك وفعلوا ما يوجب الكفر.

فالحاصل: لا بد أن من توحيد بقلب واللسان والعمل، فإذا وحَّد بقلبه بزعمه ولكن أشرك بالقول أو بالفعل لم ينفعه. أو وحَّد بالقلب واللسان، ولكن أشرك بالفعل كالسجود لغير الله والذبح لغير الله. أو وحَّد الله بالفعل وبالقول، ولكن أشرك بالله في القول، فدعا مع الله غيره، واستغاث بغير الله، كله باب واحد، فلا بد من التوحيد بالقلب واللسان والعمل، وفَّق الله الجميع.

❑ ●● ❑

الأسئلة

س: قصة جبرائيل مع إبراهيم ثابتة يا شيخ؟

ج: هذا مشهور في التاريخ، لكن لا أعرف فيه أحاديث، ذكر المؤرِّخون أنه قابله في الهواء وقال: أما إليك فلا، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

س: العلماء الذين يقرون القبوريين في البلاد الإسلامية على توسلهم بغير الله تعالى هل هم أشد من الذين يستهزءون بالله؟

ج: هذا فيه تفصيل، إذا كانوا يعتقدون جواز ذلك كفروا، أما إذا كان تساهل منهم ما أنكروا المنكر ولكن ما فعلوه ولا اعتقدوه فهذا تقصير منهم في الأمر

. . . .

بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل الذين في مكة لم يستطيعوا أن ينكروا المنكر خوفًا من المشركين.

س: الذين يعبدون القبور ويستعينون بالجن لهم شركيات ظاهرة وبيِّنة فمثل هؤلاء هل يبدأ معهم الإنسان بدعوة التوحيد أم يستدرجهم شيئًا فشيئًا حتى يفهمهم بعد فترة؟

ج: لا يبدأ إلا بالتوحيد، فأعمالهم ما تنفع إلا بعد التوحيد، يبدأ بالتوحيد.

س: بعض الناس يقولون: التوحيد ينفر الناس؟

ج: هذا غلط وجهل، الرسول ﷺ بدأ بالتوحيد ما بدأ بالصلاة ولا بدأ بالزكاة، ولا بدأ بالصدقات، بدأ بالتوحيد، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا.

س: الذين في البلاد الإسلامية يقاس على من ترك الإنكار في الشركيات في مكة؟

ج: على كل حال الواجب عليه أن يعظ الناس ويذكرهم ويبصرهم بحق ولا يشاركهم في الكفر بالله ولا في أعمال الكفر لا بالقلب ولا بالفعل ولا بالقول، أما إذا قصر في إنكار المنكر هذا يصير معصية.

فالواجب إنكار المنكر لكن إذا قصَّر مع أنه ما يعتقد ذلك ولا يفعله معهم ما يصير كافرًا، أما إذا جاملهم وفعل معهم المنكر وعبد معهم القبور وسب معهم الأديان وسجد للقبور وقال إنها مجاملة، هذا شرك.

أما الإنسان ما جاملهم ولا شاركهم في باطلهم ولكن ضعيف ما يجاهر بالإنكار عليهم بل يخاف من شرهم أو يطمع في رفدهم هذا هو محل النظر.

س: حضور مجتمعات ومؤتمرات توحيد الأديان والدعوة إليها من قبل بعض المنتسبين للعلم؟

ج: هذا كفر.

. . . .

س: جماعة من المعاصرين يقولون أنه لا يكفر الشخص إذا قال الكفر أو فعله إلا إذا قصد بقلبه؟

ج: غلط، هذا يكفر بالقول وباللسان وبالعمل إلا إذا أكره مع الطمأنينة، إذا أكره بالضرب أو التهديد بالقتل من قادر وقلبه مطمئن مثل ما فعل عمار وياسر وابن مسعود وبلال وغيرهم فوافقوهم ولكن مع الطمأنينة بالقلب مع كون القلب مطمئن بالإيمان موحِّد لله جل وعلا، ولكن قالوا إن محمدًا كاذب أو قالوا إنه ليس برسول؛ ليدفعوا عنهم الضرب بالجريد وغيره.

س: مسألة الكفر بالجحود قال بعضهم لا يكفر الرجل إلا إذا قصد الخروج من الإسلام بفعله أو بقوله؟

ج: هذا جاهل يُعلَّم، الكفر يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالعمل، الذين قالوا ما رأينا مثل قراؤنا، كفروا بالقول، نسأل الله العافية.

س: من تمسك بشبابيك أو أبواب الحرم واعتقد أن هذه قربى لله؟

ج: هذا بدعة، فإذا اعتقدها وطلب منها صار شركًا، أما إذا كان يظن أنها قُربى وطاعة هذا بدعة يُعلَّم.

